

١٩ مليون دقيقة وإسرائيل

المكتبة
الاسلامية
بمكة المكرمة
الشارع الرئيسي
بمكة المكرمة

وقا





تصدر فی اول کل شهر

رئیس التحریر: انیس منہور



دار المعارف بمصر

دار المعارف

اهداءات ٢٠٠١

الاستاذ/القطب محمد طريلة

القاهرة

صلاح طنطاوى

١٠ مليون دقيقة وأستراليا

اقرأ ٤١٧

دار المعارف بمصر

٧ (أفرأ)

الناشر : دار المعارف بمصر ١١١٩ كورنيش النيل القاهرة . ج . م . ع .

تقديم

بقلم سعد الدين توفيق

كانت فكرة تقديم مسرحية عربية في أستراليا فكرة غريبة حقاً . .
ولكنها لم تكن مستحيلة . . فهناك حوالى خمسين ألف عربى يعيشون في
أستراليا ، لا يشاهدون مسرحاً عربياً أو فيلماً عربياً أو يقرءون جريدة
أو مجلة عربية . . ليس لديهم سوى الذكريات العميقة التى تربطهم
ببلادهم .

فى هذا « الوادى » قرر الفنان المصرى صلاح طنطاوى أن « يصرخ » ! .
وهذه هى تفاصيل أول .. وربما آخر - تجربة فنية .

فى شهر مارس فكر صلاح فى أن يحتفل بذكرى سيد درويش .
ولكن كيف . . وأين يستطيع إقامة مثل هذا الاحتفال وهو شخصياً لا يعرف
أحدًا هناك لأنه كان قد وصل مهاجراً إلى أستراليا قبل ذلك بشهرين
فقط . وكان « بالتيلة » يعيش ويعمل فى وظائف لا تتفق ومآضيه
الطويل فى القاهرة رساماً ومثلاً ومؤلفاً مسرحياً . ومع ذلك فقد
واجه صلاح التحدى بإرادة قوية ، بل لعلى لا أبالغ إذا وصفتها بأنها
جسارة . إذ لابد أن تكون إرادتك جبارة حقاً عندما تقرر أن تحتفل فى
أستراليا بذكرى سيد درويش فى مسرح أمام جمهور ، مع العلم بأنك

مفلس ليس في جيبيك أجرة ركوب تاكسي ، فمما بالك بدفع إيجار مسرح ! . . وأنتك جديد لا تعرف أحداً في البلد ومع ذلك تريد تقديم اسكتشات غنائية من أوبريتات سيد درويش ! . . وعلاوة على هذا كله فليس لديك أسطوانة واحدة من أغاني سيد درويش ! . . الشيء الوحيد الذي كان يملكه صلاح طنطاوي يومئذ هو أنه يحفظ أغاني سيد درويش ، ويعرف قصة حياة سيد درويش معرفة جيدة جداً إلى درجة أنه ألف عنه مسرحية منذ سنوات قدمها مسرح التلفزيون ولا تزال مسجلة ومحفوظة بعناية في مخازن المبنى العتيق القائم على كورنيش النيل .

وبدأ صلاح يذلل المشكلات واحدة واحدة . . مشكلة المسرح حلها عندما اتفق مع الأب بولس راعي كنيسة سيدة لبنان على إقامته الاحتفال بذكرى سيد درويش في كنيسته . . ووافق الأب وتطوع بأن يدعو بنفسه جمهور المصلين لساعة المحاضرة بعد الصلاة . . وهكذا ضمن صلاح المكان والجمهور وبقى أن يعد الاسكتشات والأغاني . وهذه المشكلات حلها عندما عكف على تحفيظ شابين مصريين مجموعة من أغاني سيد درويش .

وبدأت البروفات في صالة كنيسة سيدة لبنان . ولبي كثير من الهواة العرب هذه الدعوة فانضموا إلى الفرقة . بل إن طلبات الانضما فافت العدد المطلوب وهو ٣٠ شخصية من شخصيات الرواية . ولم يخرج المخرج المؤلف عن بطة لفرقة . إذ تقدمت إليه فتاة مصرية جميلة موهبة اسمها برناديت مهران . ومع بدء البروفات بدأت المتاعب . من ذلك مثلاً ما لمسه صلاح في معظم الممثلين من عجز عن حفظ الحوار وحفظ الحركة

واستطاع صلاح رغم ذلك أن يذلل معظم هذه العقبات . أما العقبة التي فشل فشلاً ذريعاً في تذليلها رغم كل المحاولات فكانت تتلخص في شاب من الهواة اسمه فهمي . فبعد بروفات شهر كامل اتضح عجزه التام عن حفظ جملة واحدة تتألف من أربع كلمات ! . . مرة بعد مرة ، وبروفة بعد بروفة ، ولا فائدة ! . . وفي كل مرة يبدو وكأنه غريب يشهد البروفة لأول مرة ! ! ! .

يقول صلاح : « عرضت عليه أن يترك الدور ما دام لا يستطيع أن يحفظه . ولكنه تمسك بالدور بشكل مؤثر . فتركت له الدور وبحثت عن طريقة أعالج بها هذه المشكلة . ثم وجدت الطريقة . كان دوره يتطلب أن يمسك مصحفاً في يده طول الوقت ويفتحه من وقت لآخر ويقرأ فيه . فكتبت له دوره في نوتة صغيرة واستبدلتها بالمصحف على أن يقرأ دوره من النوتة باستمرار وكأنه يقرأ القرآن .

» ثم جاء اليوم الموعود . يوم الافتتاح وتحولت صالة الكنيسة الهادئة إلى صالة سينا في أحد أحياء القاهرة الشعبية ! ! فمن أجهزة التسجيل تتصاعد الأغاني المصرية . ومن البوفيه تتصاعد رائحة الطعمية التي أعدتها أم برناديت لبيعها في سندويشات استكمالاً للجو الشعبي المصرى .

ووسط هذه الحرارة وهذا الحماس بدأنا الحفل . فقدمنا تابلوه « الوطن العربى » وهو النشيد الذى وضعه محمد عبد الوهاب . . ثم تابلوه « عدوية » من ألحان محمد الموجى . وتابلوه « الجارسونات » من ألحان سيد درويش . وبعد هذه التابلوهات الغنائية الراقصة قدمنا مسرحية « سيد درويش » . . وقد نجحنا نجاحاً سائلاً إلى آخر عمرى أنذكره

وأتدفاً به . كان التصفيق يقاطعنا طول الوقت . والضحك يتعالى أمام كل جملة مرحة . وولأت السعادة قلوبنا نحن الممثلين .

« أما فهمى فقد أثبتت مفاجآته اللطيفة أنها أكبر من ذكائى ! . . . كنت أتصور أننى ضمنته بعد أن كتبت له دوره فى نوتة وسمحت له بأن يقرأ الدور من النوتة أثناء التمثيل ، ولكنه كان يفتح النوتة ويردد حواراً من الفصل الثانى فى حين أننا فى الفصل الأول . . . أو يردد حواراً من الفصل الأول ونحن فى الفصل الرابع حتى بدا وكأنه يعيش فى مسرحية أخرى . وحتى كاد يحدث لنا بلبلة غريبة على المسرح لولا ما كان يسود العرض كله من روح طيبة .

« ثم كان دوره يتطلب منه أن يحمل إبريقاً مليئاً بالشاى ويوزعه على الممثلين فى أحد المشاهد . وقد حرصت على أن أملاً له الإبريق بنفسى بين الكواليس حتى لا يحدث خطأ . ومع ذلك فقد ظهر على المسرح والإبريق خال تماماً من الشاى ! . . . واكتشفت فى النهاية أن فهمى شرب الشاى كله أثناء فترات الاستراحة حتى يبقى منتبهاً ولا يكبس عليه النوم !

« وجاء موقف بينى وبينه على المسرح . كان الموقف بقضى بأن يخرج فهمى من المسرح ويتركنى بمفردى على المسرح لكى أغنى « زورونى كل سنة مرة » . . .

« وبدأ الموقف على ما يرام . وانتهى فهمى من دوره . وقال :

« تصبح على خير يا شيخ سيد » ولكنه لم يخرج من المسرح . وقف جامداً فى مكانه وقد نسى البروفات العديدة التى تدربنا فيها على هذا المشهد .

هست له بالخروج : اخرج يا فهمى . . اخرج . ولم يخرج ! . .
تصلب فى مكانه ولم يتزحزح . واضطرت أن أهمس لرجال الإضاءة
لتخفيفها وأكملت المشهد العاطفى ، فبكيت وغنيت وهو واقف بجانبى
إلى آخر الفصل . وبين الكواليس أمسكت بتلابيبه وسألته عن السر فى
عدم خروجه . فأجاب فى براءة تامة بأنه كان يعجب بأدائى للمشهد
الأخير . ولذلك وقف ليشاهدنى عن قرب ! ! .

« كان لابد أن تحدث هذه الأخطاء اللطيفة فى عمل هو الأول
من نوعه فى أستراليا ومع أشخاص يقفون على المسرح للمرة الأولى فى
حياتهم . وكان النجاح رائعاً وفى الختام غنينا النشيد الخالد « بلادى
بلادى » فأطبنا حماس الجماهير التى وقفت تردد النشيد معنا والدروع
تملاً عيونها » .

هذه سطور من كتاب جديد اسمه « $\frac{1}{4}$ مليون دقيقة فى أستراليا »
من تأليف صلاح طنطاوى .

إن هذا الكتاب متعة حقيقية لأنه يروى بصدق وبصراحة تجربة
حقيقية . وبعد أن قرأته مرتين ، مرة بالقطاعى عندما تصفحته ، ومرة
بالجملة عندما عدت إلى أول سطر فيه وقرأته بالترتيب ، سرحت مع أحلامى
وتمنيت أن يفكر صلاح طنطاوى فى تحويل هذه القصة الحقيقية إلى
قصة سينائية . وليس من شك فى أنها ستكون فيلماً لطيفاً وجديداً وغريباً . .

سعد الدين توفيق

❁ الطريق إلى قوس قزح ❁

في الطائرة أخيراً حقاً . . .

ورائي أحلامي الكثيرة العريضة في أشياء بعضها مبهم وبعضها واضح . .
وأمامي قارة هي أبعد مكان في الدنيا . وهي فيما سمعت المكان الوحيد الذي
يسمح بتحقيق أكثر الأحلام طموحاً وجنوحاً إلى الخيال .
هأنذا في الطريق إلى قوس قزح أمتطى هذه الطائرة الضخمة التي لم
أرها قبل ذلك إلا في المجلات وأفلام السينما .

عند دخولي الطائرة لفحني هواء بارد ، واستقبلني موظف طويل عريض
ذو شارب كث ، وذكرني منظره وثوبه الأزرق الرسمي بصورة البحار الشهير
على صناديق السجائر . ثم أرشدتني المضيفة إلى مكاني الذي تصادف
أن كان بجانبه مقعد آخر خال . جلست ومعني حقيبة ضخمة كنت أتعثر
في حملها ، ولكني أصمم على الاحتفاظ بها متظاهراً بأنها (حقيبة يد)
متهرباً بذلك من الوزن القانوني المسموح به في الطائرة وهو ٢٠ كيلو .
هذا الوزن الذي حرصت على ألا تزيد حقائبي الأخرى عليه .

استمر الهواء البارد الذي استقبلني يعيش في نفسي وخيالي ويلفح
أطرافي فيكاد يجعدها . لم يسترع دخولي وجلوسى انتباه أحد ، كما كنت

أتصور ، أو كما كان يصور لى انفعالى الشديد . ولم يكن جميع من فى الطائرة مهاجرين إلى أستراليا أيضاً كما كنت أتصور ، ثم جاءت جلستى بجوار النافذة ، فأشعلت سيجارة وجلست ، فى توتر وتأهب منتظراً لما يحدث .

ولكن لم يحدث شيء . ولم تأمرنا المضيفة بربط الأحزمة كما كنت أسمع من قبل ، ولعلها حرصت على عدم إقلاق راحة الركاب النائمين . حيث كانت الساعة منتصف الثالثة صباحاً .

لم يصعد من مطار القاهرة غيرى . ولم يجاورنى أحد فى مقعدى ، وقضى على أن أقطع المرحلة الأولى من رحلتى وحيداً ، محروماً من متعة الحديث مع الركاب كما يحدث فى قطارات الدلتا .

ثم أقلعت الطائرة فى هدوء . وفى ثوان اختفت عن عيني معالم مطار القاهرة ، ووجدت نفسى فى بطن هذا الحيوان الخرافى ، فى أجواء الفضاء .

حاولت أن أقرأ فلم أستطع ، وحاولت أن أنام مثل باقى الركاب فلم أستطع ، ووجدتني متيقظاً متنبهاً متوتراً ، فهربت من تصورات المستقبل إلى اجترار الماضى . منذ شهور قليلة لم تكن فكرة الهجرة قد خطرت لى على بال . ربما عابثنى فكرة السفر من وقت لآخر كما يحدث لكل إنسان عندما تمر به ساعات ضيق أو ساعات رغبة فى التغيير .

ولكن الهجرة كتغيير مادمى ملموس لم تكن قط من بين الرغبات التى عابثت خيالى فى أى فترة من فترات حياتى ، فإننى بطبيعتى أتهيب دائماً التغيير ، وليس أحب إلى نفسى من أن يستمر حالى دائماً كما هو ،

إيثاراً للدعة والألفة وتبياً من المجهول . ولقد عوضني الله عن ذلك (الركود) الجسمى بنشاط روحى رائع يتمثل فى خيال محلق يطوف الدنيا كلها فى غمضة عين . خيال يحقق لى كل ما أحب بصورة لا تستطيع الحقيقة أبداً أن تصل إليها .

وأستراليا نفسها لم يكن اسمها ليعنى لى شيئاً أكثر - ربما - من المعلومات الجغرافية التى تلقنتها فى الماضى والتى تراجعت على مدى السنين إلى أطراف الذاكرة كمعلومات باهتة غير محدية لا يشعر العقل باحتياجه إليه .

ومع ذلك هأنذا فى الطائرة ، فى الطريق إلى أستراليا .
ما الذى حدث حتى جعلنى أغير حياتى بهذا الشكل الحاد ؟
لعلها جملة عابرة سمعتها من زميل لى فى العمل أثارت فى نفسى
كوامن كثيرة لم أكن أدري بوجودها من قبل .
خيل إلى بعد حديثى العابر مع زميلى بأن الهجرة هى الحل المثالى
لكل مشاكل . وماذا كانت مشاكلى ؟ .

لم تكن مشاكل بقدر ما كانت رغبات نجيش فى نفسى باستمرار ،
تهبط وتعلو ولكنها لا تختفى أبداً . . إن مواهبى جديدة بأن توفرها لى ،
ولكن ظروفى كانت تمنعنى من الحصول عليها . رغبات فى معاشة تلك
العوالم الساحرة الغريبة التى قرأت عنها آلاف الكتب ، يضاف إلى ذلك
رغبتان أساسيتان أعتقد أنهما السبب المباشر فى هجرتى إلى أستراليا .
السبب الأول يعود إلى خيالى الجامح الذى يرفض دائماً أن يتصور شيئاً
دون أن يسرع كالريح إلى نهايته . حتى اختلطت نهايات الأمور مع

بداياتها فى تصورى . هكذا تصورت أننى مهما عشت ومهما كتبت ومهما نجحت ، فسوف أظل محدوداً بجمهور يقرأ لغة واحدة . وصور لى طموحى أننى أستطيع أن أقهر ذلك التصور البخيل إذا ألقى نفسى فى عالم آخر يتكلم لغة أخرى ، وألقى بمواهبى أمام جمهور آخر ، جمهور لا تعده حدود وتنتشر لغته فى جميع أطراف المعمورة .

صور لى طموحى إذن أننى إذا نجحت فى الكتابة بلغة (عالمية) فإننى أستطيع أن أحلم بأن أصبح فناناً عالمياً .

السبب الثانى هو نوع من سوء المصادفات المضحك ، أو الذى يبدو الآن مضحكا ، ولو أنه طالما آلتى وصور لى وجودى كله ومستقبلى كله فى صور مظلمة شائثة .

فقبل هجرى بست سنوات صدر قرار بنقلى من وظيفتى بالقاهرة إلى إحدى مدن الوجه القبلى . ولما كنت لم أغادر القاهرة فى حياتى - إلا لمزاجى - فقد جاء هذا النقل صدمة لكل أعمدة حياتى . يضاف إلى ذلك أن اهتماماتى بالمرسح والأدب والصحافة لم تكن لتجد مجالها إلا فى القاهرة .

وتصورت عند نقلى أنها صدمة عابرة ، وأننى أستطيع أن أعود إلى القاهرة بعد مضى بعض الوقت . ولكن كل ما يحدث ، أو كل ما يستطيع أن يحدث ، من عقبات حدث لى حتى لا أعود إلى القاهرة .

جربت كل وسائل التغيير من طلبات للنقل وللندب وللبدل وللاستقالة ، وللتعيين الجديد ، ولكن لا فائدة ، كأن الدنيا كلها قد اجتمعت لتجعل بعدى عن القاهرة مصيراً أبدياً .

وبعد سنوات من محاولات النقل المستمر والانتظار والأمل واللهاية والترقب وخيبة الأمل والمحاولة من جديد والفشل من جديد ، شعرت بأن أعصابي قد انهارت وبأنني لن أستطيع أبداً أن أغير هذا الوضع ولن أستطيع أبداً أن أقبله .

قلت لنفسى إنه إذا كان قد كتب على أن أحرم من وجودى فى القاهرة فليكن هذا الحرمان حرماناً حقيقياً ، حرماناً يباعد بينى وبينها آلاف الأميال لا عشرات الأميال .

هكذا وجد منى الحديث العابر مع زميل فى العمل أرضاً خصبة للتفكير الجاد فى الهجرة ، وبدا ساعتها أن الهجرة هى الحل الموفق السعيد لوضعى الغرب . وبفسس الحماس الذى أتناول به كل شئ بدأت المشروع الجديد . وما أسرع أن ذهبت إلى مكاتب السفارات التى توافق على الهجرة إلى بلادها . ولم أجد سهولة فى الاستعلام وتقديم طلب الهجرة إلا فى مكتب الهجرة التابع لأستراليا .

ملأت الطلب الحافل بأسئلة لا أول لها ولا آخر ، ثم قدمته فى اليوم التالى . ولم تمض أيام حتى جاءتني رسالة تدعونى لاختبار المقابلة الشخصية التى لم تخرج عن تكرار الأسئلة والأجوبة الواردة فى الطلب الأول . ثم انتهت المقابلة بابتسامة وبتذكيرى بأننى أسافر على حسابى فى حالة الموافقة على سفري .

ولم أكن أتصور غير ذلك منذ بداية تفكيرى فى الهجرة فوافقت وعدت إلى البيت أنتظر ما يأتى به الغيب .

وتمخض ذلك الانتظار عن دعوة جديدة للكشف الطبى الذى انقسم

إلى مرحلتين ، الأولى للكشف الباطني ، والثانية للكشف بالأشعة . ثم قيل لي في النهاية إن هذه هي آخر مرحلة . وعلى الآن أن أنتظر أربعة أشهر حتى يأتي التصريح بدخول قارة الأحلام .

وتعوذت بالصبر الجميل في هذه المدة الباقية حيث بدا أنه لا حيلة في تغييرها ، وإن كنت لم أحتج إلى هذا الصبر الجميل . فبعد شهر واحد فوجئت بالتصريح النهائي يصلني في خطاب رقيق من مكتب الهجرة .

وكان التصريح يسمح لي بدخول أستراليا في خلال مدة سنة من تاريخه ، ولكنني لم أنتظر . ولماذا أنتظر ٧ ٨ قد تحققت أحلامي بصورة باهرة ، وجاءتني موافقة (عالمية) بعد ست سنوات من الرفض القاطع لكل طلب بسيط أتقدم به .

سلمني مكتب الهجرة خطاباً (إلى كل من يهمه الأمر) يفيد بأن إقامتي وسكني وعمل مكفولة عند وصولي إلى أستراليا . وأمام أسباب الطمأنينة هذه سارعت بتقديم استقالتني من عملي واستخراج جواز السفر . وأنهيت إجراءات التصريح بالخروج في أيام ، ثم ودعت أهلي وأصدقائي ، وركبت الطائرة في الساعات الأولى من صباح أحد أيام يناير .

وهأنذا في الطائرة أخيراً حقاً . وقد زالت عني رهبة الموقف ، ونظرت من النافذة المجاورة لي لأرى الطائرة فوق السحب ، ويخيل إليّ من فرط سرعتها أنها واقفة في مكانها . وأرى من خلال السحب بحاراً وجبالاً تبدو وكأنها خريطة باهتة في أطللس مدرسي قديم .

وبدأ ضوء النهار يدخل من النوافذ الضيقة وبدأ الركاب يستيقظون

وجاءت المضيفة لتقدم لنا الفطور ، وهو كأس شراب له لون المانجو وطعمه به مزوجة غريبة . وصدمني هذا الطعم عندما تذوقته لأول مرة . وظل يصدمني دائما حتى بعد أن عرفت أنه عصير الأناناس . .

ومع شراب الأناناس جاءتنا صينية بها أطباق ميكروسكوبية بها ما يكاد يكون « عينات » من الطعام . ولم يكن هذا ما تصورت عن طعام الطائرة . ولكني جارت من حولى وأكلت ذلك الطعام الذى تركنى أكثر جوعاً مما كنت عندما بدأت فى تناوله .

« تسمع بالمعيدى خير من أن تراه » . . هذا ما قلته لنفسى عن المضيفة التى طلبت منها مزيداً من هذه الوجبة المضحكة ، فنظرت إلى باستغراب شديد ، وكأننى أطلب شيئاً منكراً . ثم عادت على مضض وقدمت لى بعض الفتات أكلته حتى لا أتعرض للجوع فى هذا السجن الطائرة .

ثم جاءت أول محفلة للطائرة : (كوالا لامبور) ، وقيل لنا إن المدة المسموح لنا بالخروج فيها هى ثلاثة أرباع الساعة ، ثم أعطونا تذكرة صغيرة تسمح لنا بتناول شراب مجاني فى مطار (كوالا لامبور) .

وخرجت من الطائرة لتقابلنى شمس متوهجة وقيظ شديد ووجوه سمراء . قصدت بوفيه المطار ، وتناولت الشراب المجانى (الوحيد) فى البوفيه . الأناناس مرة أخرى . . ثم عدت إلى الطائرة . ومن كوالالامبور صعد راكب جديد أسمر ذو عين وجلس بجانبى . واحدة وملامح قاسية . ورحبت به وتصورته مهاجراً مثلى ، ولكن اتضح أنه موظف رسمى فى كوالا لامبور . سجان على وجه التحديد، وأنه ذاهب فى مهمة رسمية فى هونج كونج .

وحكى لى صديقى السجنان الشئ الكثير عن بلاده وعن مشاكلها السياسية والاجتماعية وعن كفاحه هو ضد قوى الاستعمار أو قوى التحرير لا أدرى . ثم جاءت هونج كونج أخيراً وهبط فيها .

وتوالى المطارات ، وتوالى شراب الأناناس كأنه (قسمة ونصيب) . وفى النهاية وصلنا إلى أول مطار فى أستراليا مطار (أدلبد) .

وجاء هذا المطار بعد المطارات السابقة مفاجأة مذهلة . قطعة رائعة من فن المعمار ، عامر بكل أسباب الفخامة الحضارية والذوق الجميل . وشربت الأناناس دون أن أشعر بمزوزته وأنا مبهور بألوان الجمال التى تحيط بى ، وكأنى فى متحف فى بديع . هذه هى أستراليا إذن أرجو أن يصدق المثل القائل : (الخطاب يقرأ من عنوانه) .

ومن (أدلبد) صعد الطائرة شاب أسترالى جلس بجانبى وبدأنى الحديث فى ألفة وبساطة ، فأخبرنى أنه جندى عائد من حرب فيتنام بعد سنوات من البعد عن وطنه . ووجدته ساخطاً على الحرب وعلى فيتنام وعلى كل ما ينتمى إليها . ولكنى لم أنجح فى أن أعرف منه شيئاً عن طبيعة الحياة فى أستراليا ، فإنه كان يجيب عن كل سؤال بما يشبه النكتة والدعابة ، ثم يغير ما يقول ، ثم يتفرع إلى حديث آخر . وفى النهاية عرفت أننى لم أعرف منه شيئاً ، ولا غرابة فى ذلك فعليه هو نفسه لا يعرف شيئاً عن بلاده . ثم وصلنا إلى المطار الأخير للطائرة : (سيدنى) الذى لم يكن المطار الأخير بالنسبة لى ، فقد كنت أقصد (ملبورن) . لماذا ؟ لست أدرى . فى سيدنى مررنا بموظفى الجوازات والجمارك مرور الكرام ، فلم يفتح أحد لنا حقيبة ولم يفتش جيئاً . وكان الاستقبال رقيقاً مهذباً ترك فى نفسى

أثراً بالغاً ، وكان على أن أستقل الطائرة المحلية . . من (سيدنى) إلى (ملبورن) وهذا ما قلته لموظف الجمارك المذهب الذى تولى حمل حقائبى بنفسه ونقلها إلى الطائرة الأخرى فى دماثة غريبة جعلتنى أقول فى نفسى إنه إذا كان الأستراليون جميعاً على شاكلة هذا الملاك فإن هذه هى الجنة حقاً . .

ثم تركنى الملاك ومضى إلى حال سبيله ، وركبت الطائرة الصغيرة التى بدت كاللعبة الخشبية الصغيرة بالقياس إلى الطائرة الضخمة التى تركتها لتوى .

حتى المقاعد فى الداخل كانت صغيرة متلاصقة كأنها « صالة » سينما أنشئت على عجل . ومرة أخرى جاءت جلستى بجوار النافذة . وجلس بجانبى زوجان فى أواخر السن . وما كان أشد دهشتى عندما عرفت أنهما من مصر ، وأنهما هاجرا إلى أستراليا منذ عشر سنوات . حادثائى بعربية متكسرة وسألانى عن كل شيء فى مصر بشوق وحنين .

كان الرجل يبدو عجوزاً لطيفاً ، أما الزوجة فقد كانت تتصنع الشباب وترتدى ثياباً زاهية الألوان . طمأنانى على طبيعة الحياة فى أستراليا وعن سهولة الحصول على عمل ، ولاحظت فى أثناء الحديث أنهما عاشا فى مصر حقاً ، ولكنهما لم يحملتا الجنسية المصرية . . ثم حلقت الطائرة فى سماء (ملبورن) بعد قرابة ساعة ، وعند ذلك رأيت من النافذة أجمل منظر رأيته فى حياتى . ملبورن . . دائرة هائلة من الخضرة اللينة تتخللها أو لا تكاد تتخللها مباني صغيرة ذات أسقف حمراء اللون ، حتى خيل إلى أن ملبورن حديقة كبيرة وليست مدينة . ثم اتضح المنظر بالتدريج ، وإذا

ملبورن فعلا حديقة ضخمة تتناثر فيها المباني والشوارع والأبنار .
وظهر مطار ملبورن ، وهبطت الطائرة ، وأرشدني أحصدقائي الجدد إلى
أن أركب أتوبيس المطار ليوصلني إلى قلب المدينة . أما هما فقد ركبا
سيارتهما الخاصة التي كان ينتظرهما بها ابنهما . حملت حقائبي وركبت
« الأتوبيس » الصغير الأنيق الذي لا يوجد به كمسارى وإنما السائق هو
الذى يحصل ثمن التذاكر ودفعت ثمن التذكرة (نصف دولار) . وكان
هذا أول مبلغ أنفقته في أستراليا .

جلست في « الأتوبيس » وأنا أشعر بتعب شديد ، فلم أكن قد نمت
ساعة واحدة في الاثنتين والعشرين ساعة التي استغرقها الطائرة في الوصول
من القاهرة إلى سيدنى ، ولكنى أخذت أطمئن نفسى بأننى بعد قليل سوف
أصل إلى قلب المدينة ، وأجد رجال المهجرة في انتظارى لإرشادى إلى محل
راحتى وإقامتى .

وانتهى « الأتوبيس » من رحلته ، ووقف في فناء واسع هبط فيه
الركاب . وحملت حقائبي الثلاث ونزلت . ونظرت حولى فلم أجد أحداً في
انتظارى . وانصرف الركاب جميعاً ، وانصرف « الأتوبيس » نفسه ، وبثيت ،
وحدى .

أين رجال المهجرة ؟ هل وصلت إلى قارة خطأ ؟ ! !
انتظرت دقائق فلم يظهر أحد . ثم لحظت موظفاً في كشك خشبي
صغير ، فتقدمت نحوه وسألته عما إذا كان عنده علم بقدمى ، ولكنه ننى
علمه بأى شىء ، كما ننى أن أحداً من رجال المهجرة قد حضر في ذلك اليوم .
وما العمل ؟ على إذن أن أذهب بنفسى إلى مكتب المهجرة . ولكنه

أخبرني بأن اليوم الأحد العطلة الأسبوعية الرسمية ، وأن مكتب الهجرة وجميع الوزارات والمصالح في إجازة . وتصورت أنه من المستحيل ألا يكون أحد موجوداً على الإطلاق في مكتب الهجرة ، فطلبت منه أن يدلني على مكتب الهجرة ، فأرشدني إليه ، وكان على مسافة قريبة من الجاراج ، فتركت حقائبي عنده ، وخرجت من الجاراج إلى شوارع ملبون لأول مرة . كانت الساعة الثالثة ظهراً ؛ ولكن الشمس كانت مخفية ، والجو بارداً جداً ، والمطر يهبط على شكل رذاذ خفيف ، والشوارع صاعدة هابطة ، والمنازل مغلقة والمحلات مغلقة ، وكل شيء متلفع في إطار من البرودة والفراغ وما يشبه الظلمة .

ولكن أشد ما أدهشني كان ذلك الصمت المروع . الصمت الذي لم أعرفه قبل الآن قط . فلا صوت بشر ولا عربية ولا ترام ولا حتى طيور . صمت هائل مخيف يكاد الإنسان يحس به مادياً ملموساً ، كأن المدينة مهجورة ، أو كأن البشرية لم تدب على الأرض بعد .

سرت حسب إرشاد موظف « الجاراج » حتى وصلت إلى مكتب الهجرة ، ووجدت أمامه حديقة ضخمة كانت هي المكان الوحيد العامر بالأحياء . طيور بيضاء غريبة تطير على مستوى منخفض وتطلق صرخات غريبة روعت نفسي لشدة تأثيرها وسط الصمت الهائل .

وجدت مكتب الهجرة مغلقاً ولا دليل على وجود إنسان فيه .

آه . . ماذا أفعل ؟

بدأ الخوف يتسلل إلى نفسي ثلجاً بارداً . فلم يكن في جيبي إلا ثمانية جنيهات أو ١٦ دولاراً أسترالياً هي كل ما دخلت به أستراليا . ولم أكن

أعرف أحداً على الإطلاق في أستراليا . كان خطاب مكتب الهجرة المحدثين في جيبي . ولكن ما العمل الآن ؟ أين أقضي الليلة ؟ وعلى حساب من ؟ . عدت إلى الجاراج وعرضت مشكلتي على موظف الجاراج (وهو المخلوق الوحيد الذي رأيته منذ وصلت) . كان الموظف شاباً صغيراً مهذباً سريع الكلام سريع الحركة . . وقد طمأنني أولاً إلى أنني ما دمت أتكلم الإنجليزية بطلاقة فلا خوف على . وأخبرني بأنه كثيراً ما استقبل مهاجرين لا يعرفون من الإنجليزية كلمة واحدة . . ثم كان الحل الذي اقترحه لمشكلتي هو أن أقضي الليلة في فندق على أن أذهب إلى مكتب الهجرة في الصباح التالي .

وسألته عن إيجاز الغرفة في الفندق فأجاب بأنه في حدود خمسة أو ستة دولارات . وتراجعت في ذعر فلا أستطيع إنفاق رأسمالي الوحيد (١٦ دولاراً) بهذه البساطة .

ثم طلبت منه أن يساعدني في العثور على أرخص محل للنوم . فاقترح على جمعية الشبان المسيحيين ، إذ ليس هناك - فيما يعلم - ما هو أرخص من نفقاتها ، وافقت وحجز لي بالتليفون حجرة بإيجار (٣ دولارات) في الليلة (ونصف دولار) للفقور .

اطمأننت إذن على قضاء الليلة ، وسألته عن مكان جمعية الشبان المسيحيين فاقترح علي أن أركب تاكسي ، فكدت أشك في سلامة عقله . . وعند ذلك تطوع بأن يوصلني بسيارته إذ كان ميعاد عمله قد انتهى . قبلت عرضه في امتنان . وبعد دقائق كنا في سيارته بعد أن تركت حقائبي عنده لليوم التالي . .

سارت السيارة في الشوارع الجميلة المهجورة . وأردت أن أجامله فأبدت إعجابي بالطابع (الإنجليزي) الذي يبدو في كل شيء . ولكن هذه المجاملة أغضبته وفسر لي غضبه بأن الأستراليين (أو الجيل الجديد منهم على الأقل) يكرهون الإنجليز ، ويحاولون التخلص من تغلغل النفوذ الإنجليزي ، ونصحتني ألا أكرر هذا الخطأ أمام أي أسترالي مرة أخرى . .

حاضر . ماذا يهمني أن يكره الأستراليون الإنجليز أو يحبهم ؟ إن أمامي ألف مشكلة تتطلب التغلب عليها .

بعد دقائق كنا أمام جمعية الشبان المسيحيين ووجدتها بناء ضخماً جميلاً في ميدان واسع يطل على نهر (يارا) . وهناك تركني الصديق الأسترالي ومضى . .

دخلت الجمعية وفي يدي حقيبة يد صغيرة بس خفيفة . وتقدمت من موظفة الاستعلامات وأخبرتها باسمي ، فأعطتني مفتاح حجرتي بيد ، ومدت يداً أخرى قائلة : ٣ دولارات ونصف من فضلك .

صعدت إلى حجرتي في الطابق الثاني بعد أن عبرت ممرات وجدت الصمت فيها أشد هولاً من صمت الشارع . وفتحت باب الحجرة ودخلت وخلعت ملابسى وارتديت « بيجامة » ثم تمددت -- أخيراً -- على السرير ، وقلت لنفسى : أنا الآن في أستراليا وفي جيبي ١٢ دولاراً ونصفاً ، ولا يعلم إلا الله ما يأتي به الغد .

ومن النافذة المقابلة لسريرى جاء الطائر الأبيض الغريب يحوم حول النافذة ويطلق صرخته الثاقبة ، فقلت لنفسى لعل هذا نوع من الترحيب . لم أكن قد تناولت أى طعام منذ إفطاري في الطائرة ، وكان عصير

الأناس هو آخر شراب دخل معدني . ولكنني لم أكن أشعر بجوع في هذه
اللحظة بل برهة وذهل وإرهاق شديد . وما هي إلا لحظات حتى غلبني
النعاس .
وسرعان ما رحت في سبات عميق .



سلطانية شای

استيقظت من النوم العميق بعد ساعات .
ولم أدرك مكانى لأول وهلة بل تصورتنى ما أزال فى مصر . وشيئاً فشيئاً
تمالكت حواسى ، وأدركت الحقيقة الباهرة ، الباردة جداً ، فقد شعرت
بأننى فى ثلاجة ، فضلاً عن الجوع الشديد الذى كنت أسمع عصافير بطنى
تهتف به فى « كورال » جماعى طالبة الشيع .

ارتاديت ملابسى وخرجت إلى الدور الأول وطلبت من موظفة الاستقبال
أن تحدد لى موقع الجمعية حتى لا أضل الطريق إليها عند عودتى . أعطتنى
الموظفة خريطة لمدينة ملبورن ، وحددت عليها بالقلم موقع الجمعية ، ثم
أرشدتنى إلى أن أمشى فى شارع (سوانستون) الذى يمتد من بداية المدينة
إلى نهايتها فى خط مستقيم ، والذى لا يمكن أن أضل ما دمت أسير فيه .
خرجت من الجمعية وفى يدى الخريطة كالسياح . استقبلنى عند
خروجى رذاذ المطر الذى لم ينقطع . ثم عبرت ميدان الجمعية وعبرت جسر
نهر (يارا) إلى ميدان آخر ، عرفت فيما بعد أنه ميدان محطة (فلندر) ،
وهى محطة القطارات الرئيسية فى ملبورن .

ومن هذا الميدان بدأ شارع (سوانستون) على امتداد مستقيم مع جسر

نهر (يارا) . بهرتنى الأضواء المتعددة الألوان والمعروضات الجميلة ، ومعالم المدينة الرائعة ، ولكنى وجدت المحلات كلها مغلقة كما كانت منذ أن وصلت .

أين أستطيع أن أجد مكاناً أتناول فيه الطعام أو أشتري منه شيئاً ؟
لم أجد مطعماً ولا محل بقالة ولا مقهى مفتوحاً ولا أى شيء ، أو على الأقل لم أجد محلاً يوحى شكله بأنه واحد من هذه .

جعلت أتقدم فى الشارع حريصاً طول الوقت على أن أنظر خلفى باستمرار لأنأكد أننى لم أبتعد كثيراً عن جمعية الشبان المسيحيين . وكلما تقدمت فى الشارع رأيت مزيداً من محلات المجوهرات والفراء والأزهار والكتب « والأنتيكات » وكل ما يمكن أن ينتجه البشر ، ما عدا الطعام ، أى طعام . .

وتقدم الوقت وأنا أذرع الشارع صاعداً هابطاً دون أن أجد غايتى .
ومررتى بعض الناس ولكنى خجلت أن أسأل أحداً ، وبجرت مرارة الوحدة والجوع على مضض حتى وقعت عيني أخيراً على محل مفتوح . محل حلويات مفتوح . كيف عميت عيناي عنه مع أنه فى أول الشارع ؟ وتذكرت المثل القائل : الغريب أعمى ولو كان بصيراً .

وقفت أمام المحل أدرسه وأدرس معروضاته . رأيت فى « الفاترينة » أنواعاً مختلفة من الحلوى ، وعلى كل قطعة سعرها . الحمد لله . لن أضطر إلى حرج السؤال أو المساومة .

بحثت بين الأصناف المعروضة عن أكبرها حجماً وأرخصها سعراً . فوجدت فطيرة بالفلاح بسعر (١٣ سنتاً) . عظيم . هذا شيء فى متناول

ثروتي . . دخلت المحل واشترت ٣ فطائر وخرجت بها في كيس من الورق .

ضمنت العشاء . بقى الآن أن أشرب الشاي . . ولم يخطر ببالى أن ذلك المحل نفسه يبيع الشاي ، فعدت أسير في الشارع من جديد باحثاً عن مقهى أو ما يشابهه . ودخلت في تخبطى وتجوالى إلى مبنى محطة (فلندر) . ووجدت داخلها ممرات وأنفاقاً سرت في أحدها ، وإذا بى أفاجأ بالشاي ، رأيت أشخاصاً يقفون وفى أيديهم أكواب كبيرة يشربون منها الشاي الساخن الجميل . ورأيت أمامهم ما يشبه البار وخلفه عاملة هى التى تبيع الشاي والقهوة والمشروبات المثلجة (إذا كان هناك مجنون يشرب شيئاً مثلجاً في هذا الجو البارد) . تقدمت في سعادة وطلبت كوب شاي ودفعت ثمنه (١٠ سنتات) أى ما يعادل (٥ قروش) . ومن الشاي وفطائر التفاح حصلت على عشاء بديع وخرجت من المحطة قرير العين .

ماذا أفعل الآن ؟

الساعة ما زالت العاشرة فهل أعود إلى الجمعية ؟ وماذا أفعل هناك إلا أن أجلس بمفردى في الحجرة الصغيرة الباردة ؟ ولكن ماذا أفعل في الخارج وأنا لا أعرف أحداً ولا مكاناً أتجه إليه ؟ ولكن امتلاء معدتى ملأنى ثقة بنفسى وبالمستقبل . وكنت قد رأيت الترام يقطع شارع سوانستون ، فقلت فلأستكشف مدينة المستقبل . ركب الترام الذى وجدته شبه خال . وسار الترام يقطع شارع سوانستون الطويل صاعداً حيناً هابطاً حيناً آخر كأنه يسير على تلال . وجاء « الكمسارى » وأعطانى تذكرة تقاضى ثمنها (١٣ بنساً) أى ثمن فطيرة التفاح . هذا تبذير لامبرر له ، والأفضل أن أغادر

الترام وأعود ماشياً ، لقد أنفقت في هذه الأمسية ما لا يقل عن دولار من دولاراتي المعدودة .

غادرت الترام وعدت من جديد ، وأنا أحرص على ألا أنحرف عن شارع سوانستون إلى غيره من الشوارع ، وسرت أتفحص المحلات فأجد الغالبية منها محلات للمجوهرات التي تعرض أصنافاً لا نهاية لها من الحلى الذهبية ، ولا حظت أن لون الذهب مختلف عن لون الذهب المصرى ، فهو أكثر ميلاً إلى البياض . إنه يشبه ما يسمى عندنا بالذهب الإفريقى ، وكان فى أصبعى خاتم من الذهب المصرى أتيج لى فيما بعد أن أعرف أنه الوحيد من نوعه فى أستراليا .

وصلت إلى ميدان محطة فلندر ، وحرصت على أن أتناول كوباً آخر من الشاي ، ثم عبرت الكوبرى والميدان ، ودخلت الجمعية وصعدت إلى حجرتي . .

كنت أتوقع أن يتملكنى الأرق ، وأن أظل أتقلب فى الفراش مدة طويلة ، ولكنى وجدتني أثناء ب وأغالب النوم . ولماذا أغالبه ؟ ألقيت بنفسى ، وقبل أن أدري كان غطيطي يملأ الحجرة .

استيقظت فى السادسة صباحاً جائعاً - مرة أخرى - كالذئاب . وتذكرت أننى دفعت ثمن الإفطار ، فلبست ثيابى فى لحظات وخرجت ، ووصلت إلى المطعم فى الدور الأرضى ، ولكن وجدت المطعم مغلقاً . . قرأت على الباب لافتة تقول إن الإفطار يبدأ من السابعة والنصف . . خرجت من الجمعية وذهبت إلى محل الحلويات فوجدته مغلقاً . دخلت محطة (فلندر) وهبطت النفق ، فوجدت محل الشاي مفتوحاً

وهبط الشاي في أمعائى سائناً لذيذاً غريباً مؤثلاً ، وشعرت في هذه اللحظة بأن الدنيا كلها لا تساوى طبقاً من الفول ورغيفاً طرياً . . وربما بعسلة خضراء ، ولكن أين منى هذه النعم الآن ؟

انتهيت من الشاي ، وخرجت إلى ميدان المحطة ، ووجدته مكتظاً بالناس الذين يسرون في سرعة مذهلة . عشرات من الناس يدخلون المحطة ومئات يخرجون منها . وقفت أتأمل هذه الصفوف الآلية وأنا أقول لنفسى : عما قريب أنضم إلى هذه الجموع النشيطة ، وأبدأ تكوين المليون دولار الأول من ثروتى . اشتريت جريدة وقرأتها دون أن أفهم عما تتحدث ، فلم أكن - في ذلك الوقت على الأقل - أعلم شيئاً عن مجتمع أستراليا ومشاكله واهتماماته . ثم قرصنى الجوع بشدة بعد أن دخل هواء الصباح النقي رثى وهفا على أمعائى الخاوية . نظرت إلى الساعة فوجدتها السابعة والنصف . آه . . إلى المطعم . .

وعلى باب المطعم قابلتنى الروائح الشهية والبخار المتصاعد من الآنية العامرة بكل خير . فدخلت وأنا أتعشم كل خير . وجدت المطعم مليئاً « بالترابيزات » التى يجلس حولها المفطرون على أطباق البيض واللحم والفاصوليا وأصناف أخرى . إذا كان من حق أن أطلب ما أشاء بتذكرتى فسوف أطلب كل هذه الأصناف .

في نهاية المطعم رأيت « طابوراً » متحركاً من الزبائن في يد كل زبون صينية عليها أطباق فارغة ورأيتهم يمرون أمام سيدات تملأ كل سيدة طبقاً من الإثناء الساخن الكبير الذى أمامها . عظيم جداً . وقفت في نهاية الطابور ورأيت الزميل الذى أمامى تناول

صينيته من دولاب في طريق « الطابور » فأخذت صينية مثله ، ثم رأيته وضع على الصينية أطباقاً فارغة . . ففعلت مثله وسرت في « الطابور » . . وتحرك « الطابور » الساحر حتى وصلت إلى السيدة الأولى التي سألتني ماذا تريد ؟ وظننت أنني يجب أن أبدأ بالشاي ، فقدمت لها الفنجان الفارغ وقلت : شاي من فضلك ، وإذا بها تنظر إلى نظرة غريبة وتسأل باستنكار : تريد شايًا في هذا ؟ ولم أدرسر استغرابها ، فأجبت : نعم . فكررت سؤالها وكررت إجابتي ، وأنا أشعر بحرج شديد . وبأن آمالي العريضة في الإفطار الشهى تنهار بسرعة مخيفة . ولم ترحمني المرأة بل استدارت إلى زميلتها وهمست لها وهي تشير إلي ، فضحكت الأخرى ثم همست الثالثة إلى الرابعة ووجدتني في النهاية مركزاً لهمس ساخر قاس لا أفهم له سرّاً . .

وعند ذلك جاءتني النجدة من الرجل الواقف خلفي - أو لعله أراد أن ينتهي هذا الموقف ليحصل على إفطاره - فنبهني إلى أن ما قدمته لأحصل على الشاي فيه ليس فنجاناً وإنما هو سلطانية للفاصوليا .

ونظرت إلى الفنجان المشوم فوجدته حقاً سلطانية صغيرة بدون يد ، لم أنتبه في ارتباكى الأول إلى الاختلاف الدقيق فحملتها على أنها فنجان . . التهب وجهي وتمنيت لو تنشق الأرض وتبلغني . ثم رأيت المرأة مازالت تنظر إلي في سخرية وشماته حياءً إلى أن أقذف بالسلطانية في وجهها . ولكني أردت أن أصحح موقفي ، ولم أجد ما أقوله للساخرة القاسية خيراً من أن أقول : نعم أريد أن أشرب الشاي في هذا .

ولكنها هزت رأسها في إصرار ورفضت أن تعطيني الشاي وصممت على أن أحضر لها فنجاناً . حاولت أن أعود القهقري إلى مكان الدولاب ،

ولكن الواقفين خلقى احتجاجوا وطلبوا أن أخرج من « الطابور » كلية وأبدأ من جديد .

خرجت من الطابور ويدي الصينية الخالية ، وعبرت المطعم كله وأنا لا أكاد أرى ما أمامي لفرط ما يملؤني من الخجل والغيط والقهر . وعدت إلى أول نهاية الطابور واستبدلت بالسلطانية فنجاناً ، ووقفت في الطابور أتحرك كالمدھول حتى وصلت من جديد إلى آنية الطعام . ورأيت الأصناف العديدة التي تملأ الأطباق من بيض بالجامبون إلى شرائح اللحم المقلية والفاصوليا ، ولكني كنت قد فقدت شهيتي لكل شيء ، بل إنني كنت أشعر أنه لولا خوئي من أن أسبب عاصفة من الضحك الجماعي لألقيت بالصينية على الأرض وأطلقت ساق للريح ، لأهرب من هذا المطعم اللعين وأستنشق هواء نقياً بعيداً عن هذه الروائح الشبيهة البعيدة المنال . هكذا لم أجرو على أن أطلب إلا فنجان شاي . وخرجت من الطابور ويدي الصينية وعليها مجموعة من الأطباق الفارغة وفنجان مليء بالشاي ، وجلست إلى منضدة خالية أتناول فطوري ، وبعد رشقات من فنجان الشاي اليتيم تجرأت على أن أنظر حولي لأرى تأثير وقع مغامرتي على الجالسين ، ولكني لم أجد واحداً قط ينظر إليّ . وكأنني غير موجود وكان ما حدث لم يحدث .

رأيتهم يأكلون في سرعة « وهوجة » وانقطاع تام عن الدنيا كلها وإنشغال مخلص كامل لعمليات القطع والمضغ والبلع ، ورأيت بعضهم يأكلون ويقرءون الجرائد في نفس الوقت . فأنتمت شرب فنجان الشاي (٥٠ سنتاً) وخرجت من المطعم إلى قاعة الجمعية .

أما تفسير هذا الموقف العدائي الغريب الذى وقفته منى عاملة المطعم فإنه - كما فهمته بعد - راجع إلى تعصب الأستراليين الشديد لعاداتهم وتقاليدهم ، حتى إنهم لا يسمحون للغريب بأن يخالف هذه العادات لحظة واحدة مهما كان حسن النية .

ولكن كان على أن أتعلم الكثير عن قارة العجائب فيما بعد . أما فى هذا الوقت فقد كانت الساعة الثامنة وكان هدفى هو أن أذهب إلى مكتب الهجرة . ولم أكن أعرف الطريق من الجمعية إلى مكتب الهجرة بل لم أكن أعرف الطريق إلى « الجاراج » الذى تركت به حقائبي ، ولكنى كنت أحفظ الاسم عن ظهر قلب ، جاراج (أنا - سيتا) .

جلست فى « الصالة » وأشعلت سيجارة وقلت لعلى أتعرف هنا إلى مخلوق يرشدنى إلى أى شىء . ومربى الكثيرون ولكنهم كانوا دائماً فى عجلة شديدة ، والذى يجلس منهم يجلس ليفحص الجريدة فى سرعة غريبة ثم يقفز إلى التليفون أو إلى الخارج . وأخيراً رأيت شاباً قرأ الجريدة ثم انتهى منها ووضعها بجانبه وجلس دون أن يقفز هنا أو هناك ، بدأت فى التودد إليه بهذا السؤال : كيف حال الأعمال فى أستراليا ؟ ولكنه أجابنى إجابة سدت على كل طريق : (كويسة جداً) .

بلغت هذه الإجابة البرقية . ولم أجد مبرراً للتلكع فى الجمعية . فأعطيت موظفة الاستقبال مفتاح الحجرة ، فسألتنى عما إذا كنت أنوى أن أقضى ليلة أخرى فى الحجرة فأجبته بأنى لا أعرف . وعند ذلك نبهتنى إلى أنه إذا حانت الساعة الثانية عشرة ظهراً ولم أبلغها بشىء فإن الحجرة تحجز على حسابى .

فى الأربع ساعات القادمة إذن على أن أصل إلى مكتب الهجرة وأن أجد إقامة مجانية ، فإن ثروى قد تضاءلت إلى (عشرة دولارات ونصف) . أجببت الموظفة بأننى سوف أبلغها قبل الموعد المحدد ، ثم خرجت أحث السير وأنا لا أعلم فى أى اتجاه أسير .

كيف وصلت إلى مبنى وزارة الهجرة ؟ لا أدرى . ولكنى سألت ألف شخص فى الشارع حتى وصلت فى النهاية بعد ساعة على الأقل مع أن المسافة لا تستغرق دقائق .

ووجدت مكتب الهجرة مفتوحاً هذه المرة والدخول والخروج منه على قدم وساق ، اليوم الاثنين . بداية الأسبوع فى أستراليا .

دفعت الباب الزجاجى الكبير ودخلت وأنا أشعر باطمئنان كأننى فى بيتى ، وقرأت اللافتات المختلفة ثم اخترت المكتب (المختص بشئون المهاجرين) ودخلت فيه .

لم أجد فى المكتب إلا امرأة عجوزاً ذات عينين سوداوين بارزتين وأنف بارز وشعر أبيض ، قدمت نفسى إليها وأخبرتها بقصتى . واستمعت المرأة إلى بوجه جامد وهى تهز رأسها بتعجل وملل ، وفى النهاية أخرجت لها خطاب مكتب الهجرة ، ولكنها قرأته بنفس الوجه الجامد ثم أعادته إلى وسألتنى : ماذا تريد ؟

يا حلاوة . . . ماذا أريد حقاً ؟

قلت لها بهدوء : أريد تنفيذ الكلام الوارد بالخطاب . أريد الإقامة والعمل . ولكنها هزت رأسها نفيًا وقالت : ليس لنا بك أى صلة . ماذا ؟ كادت الإجابة أن تصعقنى ، ولكنها كررت كلامها بوضوح

غريب . انفعلت وارتفع صوتي ، ولكن لا فائدة . لم تتزحزح المرأة عن موقفها شعرة واحدة . وسرعان ما انضم إليها موظفون آخرون أكدوا كلامها . وختمت المرأة الموضوع بهذه الجملة : لقد سمحت لك أستراليا بدخولها ، وأنت الآن فيها ، فابحث لنفسك عن إقامة وعن عمل . منك لروحك .

خرجت من مكتب الهجرة وأنا أكاد أفقد عقلي . لقد انهارت آمالي كلها ، مني لروحي ! ! هذا ما قالته الشمطاء المجنونة . لقد اجتمعت ضدي كل عجائز أستراليا في هذا اليوم فيما يظهر . مني لروحي . . وكل ما في جيبى لا يكاد يكفيني أكثر من يومين مع الاقتصاد الشديد والاكتفاء بالشاى كغذاء أساسى .

مني لروحي . . وقد دفعت (٥٠٠ دولار) لأصل إلى أستراليا وهأنذا في الشارع ، وحقايتي في مكان لا أعرف كيف أصل إليه ، وثيابي في مكان لا أعرف كيف أصل إليه . وحياتي نفسها لا أستطيع الاطمئنان على امتدادها أكثر من يومين . مني لروحي ! !

وجدت بواباً يقف أمام باب الوزارة وهو يصفر سعيداً ، فسألته عن مكتب العمل ، فقال إنه في ميدان (فلندر) . أنا أعرف ميدان (فلندر) ولكن كيف أصل إليه من هنا ؟ وصف لي الرجل الطريق وهو يتراقص في وقفته ، ولم أفهم حرقاً واحداً من وصفه ، واكتفيت بوصفه لبداية الطريق ثم سرت في الطريق أسأل كل من أقبله حتى وصلت أخيراً إلى مكتب العمل .

دفعت الباب ودخلت فوجدت صالة هائلة . الجزء الأمامي منها

مخصص لطالبي العمل ، والباقي لمكاتب الموظفين . تقدمت لأقرب موظف وأخبرته بأننى أبحث عن عمل ، فكتب اسمى فى ورقة ثم طلب منى أن أجلس لأنتظر دورى .

جلست بين زبائن المكتب وجعلت أتفحص (زملائى) طالبي العمل فوجدتهم لا يصلحون لشيء إلا لتمثيل أدوار القتلة والمجرمين فى أفلام العصابات . وجوه شائهة وذقون غير حليقة وملابس قذرة ممزقة . رباه هل أنا واحد من هؤلاء ؟

استمعت إلى أحاديثهم يتكلمون لغة تبدو كالإنجليزية ولكنها ليست إنجليزية . كانوا يتحدثون بالأسترالية التى هى عامية غريبة لا يمكن أن يفهمها غيرهم ، وبعد فترة فقدت الأمل فى أن أفهم حرفاً واحداً مما يقولون . وبالتالي فى أن أعرف إلى واحد منهم .

ثم سمعت الموظف ينادى اسمى ، فجريت إليه ، وعند ذلك أخبرنى بأنه نادانى قبل الآن فأين كنت ؟ أين كنت ؟ إننى لم أغادر مكانى فهل نادانى دون أن أسمع ؟ غير معقول . وعلى أى حال فقد أمرنى بأن أذهب إلى المكتب رقم (٤) لمقابلة الموظف المختص .

وجدت الموظف المختص شاباً صغيراً كتلاميذ المدارس مؤدباً بغير حدود ، باسماً كأنه صديق قديم ، ونزلت مقابلته اللطيفة برداً وسلاماً على نفسى المشتتة ، فأخبرته عن مؤهلاتى وخبرائى وطلبت منه وظيفة مناسبة . واستمع إلى الموظف فى أدب واهتمام ، وفى النهاية قال لى إنه من الصعب أن يجد لى وظيفة مناسبة بسرعة . وعند ذلك صرحت له بموقفى الدقيق وقلت له إننى يجب أن أجد أى عمل بأقصى سرعة . ففتح

درجاً أمامه وأخرج منه « كرونا » عديدة هى بيان بالوظائف الخالية الواردة إليه من المصانع والشركات ، ثم تفحص الكروت وسألنى : هل تقبل وظيفة (ضابط بريد) ؟ ضابط بريد ؟ إننى أقبل أى شىء . أمسكت بهذه الفرصة بيدى وأسأنى فكتب لى خطاباً إلى هيئة البريد ، ووقعه وختمه بخاتم المكتب ، ثم وصف لى المقر الرئيسى لهيئة البريد وكان على بعد خطوات من مكتب العمل .

خرجت من المكتب رقم (٤) وفى يدى الخطاب السحري ، وسرعان ما وصلت إلى هيئة البريد ودخلت وسألت عن موظف المستخدمين فقيل لى إن هناك موظفين فى حجرتين مختلفتين ، وكلاهما مختص بشؤون المستخدمين . وصلت إلى الحجرتين ونظرت فى الأولى فوجدت الموظف جالساً وأمامه طالب وظيفة ونظرت فى الثانية فوجدت الموظف يجلس بمفرده .

طرقت الباب ودخلت وقدمت خطاب مكتب العمل إلى الموظف الذى قرأه ثم وافق على تعيينى . . . وتنفس الصعداء أخيراً . وبدأ الموظف يكتب لى خطاباً لأستلم به وظيفتى التى أخبرنى بأنها ستبدأ من الثانية بعد ظهر نفس اليوم . ثم انتهى من كتابة الخطاب ووقعه ووضعها فى ظرف . ومددت يدى لأتسلم الخطاب ، ولكنه سألنى كأنما تذكر شيئاً عابراً : كم مضى عليك فى ملبورن ؟ فأجبته بأننى وصلت إلى أستراليا فى اليوم السابق ، وعند ذلك سحب يده ومزق الخطاب وألقاه فى سلة المهملات .

سأله لماذا فعل ذلك ؟ فأجاب بأنه غير معقول أن أصل إلى ملبورن

فى يوم لأشتغل فى اليوم التالى فى هيئة البريد . البريد بالذات . وأنا لا أعرف أسماء الشوارع والمدن والقرى .

اللجنة على أسماء الشوارع والمدن والقرى . . حاولت أن أجادله ولكنه كان قد تحول إلى صنم جامد .

خرجت من المكتب الذى لمست فيه السعادة لحظة ووجدت نفسى فى الشارع من جديد .

كانت الساعة قد شارفت الحادية عشرة ، وبعد ساعة يكون على أن أدفع (٣ دولارات ونصفاً) لجمعية الشبان المسيحيين إذا لم أعر على إقامة فى غيرها .

ازدحمت فى نفسى مشاعر الغيظ والغضب ولم أجد من أصد عليه سخطى وأتشبث بخناقه إلا مكتب الهجرة . قررت أن أعود إلى مكتب الهجرة ولا أخرج منه إلا قاتلاً أو مقتولاً . ووصلت هذه المرة فى دقائق ، ثم دخلت المكتب الذى بدأت منه متاعبى . ولم أجد المرأة العجوز بل وجدت موظفاً آخر استقبلنى فى رفق وأدب ، وقرأ الخطاب العتيد الذى غير حياتى ثم أعاده لى وأخبرنى بمعلومات مغايرة تماماً لكل ما سمعته منذ وصولى .

أخبرنى بأنه حتى بدون هذا الخطاب فإن مكتب الهجرة متكفل بإقامتى وتوفير العمل لى ، فهذا ما يفعله المكتب مع جميع المهاجرين ، لم إذن لم يستقبلنى أحد من مكتب الهجرة فى المطار ؟ لأننى وصلت بالطائرة والمهاجرون عادة يصلون بالبواخر لأنها أرخص ثمناً . أو أن هذا على الأقل ما يتصوره مكتب الهجرة . فالمهاجر فى نظر مكتب الهجرة شخص

فقير ليس أمامه إلا أن يصل بالبأخرة لا الطائرة كما يفعل السياح ، كيف كان لى أن أعرف ذلك ؟ أخبرنى الموظف الباسم بأن المهاجرين جميعاً يعلمون ذلك وأنه - شخصياً - لم يسمع بمهاجر وصل بالطائرة ، ما علينا . قلت له : ها هو ذا مهاجر وصل بالطائرة وهو حائر لا يعرف له رأساً من رجل . فطمأننى بأن المكتب سوف يجد لى عملاً بالتأكيد . وأخبرنى أيضاً بأننى أخطأت فى ذهائى لمكتب العمل فى شارع (فلندر) لأن هذا المكتب مختص بالأعمال اليدوية ، أما وظائف أصحاب المؤهلات العليا فهى فى مكتب آخر فى نفس مبنى مكتب الهجرة .

كل هذا جميل . ولكن لم استقبلتنى هذه المرأة البغيضة بهذا الشكل فى الصباح ؟ هذا ما لم أعرفه عندئذ ولا بعدئذ ومالا أجد له تفسيراً إلا أنها صهيونية . .

والآن أين الوظيفة العالية ؟ أخبرنى بأنه ليس مختصاً بالتوظيف ، ولكنه سوف يحجز لى موعداً مع (مستر آدمز) المختص ، ثم رفع سماعة التليفون وطلب مستر آدمز وحجز لى معه موعداً فى الرابعة بعد الظهر أخبرته بأن هذا موعد متأخر جداً ، وأننى يجب أن أحدد موقفى قبل الثانية عشرة ، ولكنه قال إن مستر آدمز رجل مشغول جداً وإنه بصعوبة حجز لى ذلك الموعد فى نفس اليوم . (كتر خيرك) شكرته وخرجت ولم أفكر أن أطلب منه أن يساعدنى فى الإقامة بعد أن عرفت أن إقامة المهاجرين هى فى معسكرات فى ضواحي ملبورن التى سوف تبعدنى عن مجال الوظائف .

وفى الردهة الخارجية وقفت أنفحص اللافتات المكتوبة من جديد

فعثرت بينها على هذه اللافتة (مكتب وظائف المؤهلات العليا) بالدور الرابع . لم لا أجرب حظى قبل موعدى مع مستر آدمز ؟ دخلت المصعد وصعدت وخرجت ودخلت فوجدت موظفة الاستقبال تتحدث مع شخص فجلست فى مكانى حتى تفرغ الوظيفة إلى .

لابد مما ليس منه بد ، فلأبقى إذن فى جمعية الشبان المسيحيين . ولأقتصد حتى الموت حتى لا أنفق ثروى كلها فى ليلة واحدة . ولعل ميعاد مستر آدمز أن يتمخض عنه شىء مفيد . لم أكن سعيداً .

قلت لنفسى إن ما فعلته جنون مطبق . منذ يومين كنت فى منزلى معزلاً مكرماً ، وهأنذا الآن فى هذه القارة التى لا أعرف فيها مخلوقاً أبداً نفسى حائراً ضائعاً كالطفل الضال الجائع . نعم إننى جائع حقاً . وعطش أيضاً ، ولكن ما أشعر به من إرهاق وقهر لا يترك لى مجالاً للشعور بشىء آخر .

ترى كيف تمضى هذه الأزمة ؟ وهل تمضى حقاً ؟ هل يأتى يوم أذكر فيه هذا اليوم وأضحك منه ؟ هل تتحول هذه التجارب المرة الساحقة إلى كلام على الورق ؟ إن كل ما أطلبه هو جسر صغير من المساعدة أعبر عليه هذه الأيام القليلة . أو هذا اليوم على الأقل إلى حيث أعمل وأربح ما أستطيع أن أقف عليه بقدم ثابتة .

يارب . . .

وعند ذلك حدثت المعجزة . .

دخل المكتب شابان أحدهما متردد والآخر متحمس . ووقفنا لحظة ، ثم جذب المتحمس المتردد وقال له : تعال إننا لن نخسر شيئاً .

قال له ذلك بالعربية . . إنهما مصريان إذن . نظرت إليهما وأنا لا أصدق عيني ، ونظرا إلى ، وسرعان ما تصافحنا . كان المتردد هو (فهمي حافظ) والمتحمس هو (رشدي حنا) والاثنان من القاهرة ، وهما أول من صادفت في أستراليا .

وعرفت أنهما وصلا إلى أستراليا منذ شهر ، وأنهما اشتغلا بعدة أعمال ثم عرفا مني موقفي وتطوعا بإرشادي إلى المساكن المفروشة التي لا تزيد قيمتها الإيجار فيها على (٦ دولارات) للحجرة في الأسبوع .

فرجت . خرجنا ثلاثتنا إلى الشارع الذي يسكنان فيه وهو شارع (دراموند) ، ووجدنا حجرة مفروشة جميلة مجاورة لهما في منزل أنيق دفعت إيجارها في الحال (٦ دولارات) ثم أخذت تاكسي إلى جمعية الشباب المسيحيين ووصلت في الثانية عشرة بالضبط فسحبت ملابسي ، ثم ذهبت إلى جارايج (أنا - سينا) حيث حملت حقائبي ، وعدت إلى حجرتي الجديدة . وأقرضني رشدي (١٥ دولاراً) وأرشدني إلى محال البقالة التي لم أرها من قبل ، لأن محل البقالة هنا اسمه (بار اللين) ، وهي تسمية غريبة لا أجد لها معنى . من بار اللين اشتريت شايًا وسكرًا وطعاماً ، وعدت إلى حجرتي وأنا أشعر بالحياة تدب في أوصالي متذكراً في الوقت نفسه موعدي مع مستر آدمز في الرابعة بعد الظهر .



❁ شارع دراموند ❁

إذن فالإنسان يستطيع أن يتنفس وأن يعيش وأن يملأ معدته في أستراليا .. هذا ما قلته لنفسى وأنا أتناول أول طعام حقيقى منذ أن دخلت قارة أستراليا . وكان المنزل الذى سكنت فيه عبارة عن شئ جميل صغير له واجهة رمادية وحديقة خضراء ناضرة وضعت فيها (مسز كيرلى) صاحبة المنزل كلباً خشبياً أسود مفتوح الفم باستمرار كأنما ليخيف لصوصاً وهمين .

أما من الداخل فالمنزل عبارة عن دورين . الدور الأول به طرقة صغيرة ضيقة نسبياً بها تراييزتان ، واحدة منهما لاستقبال خطابات الرجال والأخرى لاستقبال خطابات النساء من التزلاء (ولعل هذه هى التفرقة الوحيدة بين الجنسين فى أستراليا) .

وعلى يمين الداخل حجرة مسز كيرلى ، وبعدها مباشرة ممر يؤدي إلى فناء داخلي مكشوف به حجرة المكواة والمطبخ والحمام . ثم حجرة أخرى قائمة بنفسها وسط الفناء يطلق عليها اسم (بنجالو) .

وبجوار هذا الممر سلم خشبى مكسو بالشمع المزخرف الجميل يؤدي إلى الدور العلوى الذى به خمس حجرات وحمام .

وكانت حجرتى هى الحجرة الداخلية المطلّة على الفناء ، ويقع المطبخ

قال له ذلك بالعربية . . إنهما مصريان إذن . نظرت إليهما وأنا لا أصدق عيني ، ونظرا إلى ، وسرعان ما تصافحنا . كان المتردد هو (فهمسى حافظ) والمتحمس هو (رشدى حنا) والاثنان من القاهرة ، وهما أول من صادفت في أستراليا .

وعرفت أنهما وصلا إلى أستراليا منذ شهر ، وأنهما اشتغلا بعدة أعمال . ثم عرفا منى موفى وتطوعا بإرشادى إلى المساكن المفروشة التى لا تزيد قيمة الإيجار فيها على (٦ دولارات) للحجرة فى الأسبوع .

فرجت . خرجنا ثلاثتنا إلى الشارع الذى يسكنان فيه وهو شارع (دراموند) ، ووجدنا حجرة مفروشة جميلة مجاورة لهما فى منزل أنيق دفعت إيجارها فى الحال (٦ دولارات) ثم أخذت تاكسى إلى جمعية الشبان المسيحيين ووصلت فى الثانية عشرة بالضبط فسحبت ملابسى ، ثم ذهبت إلى جارج (أنا - سيتا) حيث حملت حقائبي ، وعدت إلى حجرتى الجديدة . وأقرضنى رشدى (١٥ دولاراً) وأرشدنى إلى محال البقالة التى لم أرها من قبل ، لأن محل البقالة هنا اسمه (بار اللبن) ، وهى تسمية غريبة لا أجد لها معنى . من بار اللبن اشتريت شايًا وسكرًا وطعاماً ، وعدت إلى حجرتى وأنا أشعر بالحياة تدب فى أوصالى متذكراً فى الوقت نفسه موعدى مع مستر آدمز فى الرابعة بعد الظهر .



❁ شارع دراموند ❁

إذن فالإنسان يستطيع أن يتنفس وأن يعيش وأن يملأ معدته في أستراليا ..
 هذا ما قلته لنفسى وأنا أتناول أول طعام حقيقى منذ أن دخلت قارة أستراليا .
 وكان المنزل الذى سكنت فيه عبارة عن شئ جميل صغير له واجهة رمادية
 وحديقة خضراء ناضرة وضعت فيها (مسز كيرلى) صاحبة المنزل كلباً خشبياً
 أسود مفتوح الفم باستمرار كأنما ليخيف لصوفاً وهميين .

أما من الداخل فالمنزل عبارة عن دورين . الدور الأول به طرقة صغيرة
 ضيقة نسبياً بها ترابيزتان ، واحدة منهما لاستقبال خطابات الرجال والأخرى
 لاستقبال خطابات النساء من النزلاء (ولعل هذه هى التفرقة الوحيدة بين
 الجنسين فى أستراليا) .

وعلى يمين الداخل حجرة مسز كيرلى ، وبعدها مباشرة ممر يؤدي إلى فناء
 داخلي مكشوف به حجرة المكواة والمطبخ والحمام . ثم حجرة أخرى قائمة
 بنفسها وسط الفناء يطلق عليها اسم (بنجالو) .

وبجوار هذا الممر سلم خشبى مكسو بالشمع المزخرف الجميل يؤدي إلى
 الدور العلوى الذى به خمس حجرات وحمام .

وكانت حجرتى هى الحجرة الداخلية المطلة على الفناء ، ويقع المطبخ

تحتها مباشرة . وكانت أرض حجرى مكسوة بنفس المشمع المزخرف وتبدو
لجمالها كأنها علبة هائلة الحجم من القطيفة ، وفى الحجرة سرير كبير
ودولاب ومنضدة ومراة وكريسيان . أما (مسز كيرلى) فقد وجدت امرأة
قصيرة عصبية بدون سبب كأنها ناظرة مدرسة . . وقد أوضحت لى شروط
السكن عندها وهى : الدفع مقدماً فى بداية كل أسبوع . ثم دفع (٥
سنتات) لكل مكاملة تليفونية ودفع (٥ سنتات) لكل مرة أستعمل فيها
الحمام الساخن .

وإذا أردت أن أنتقل من المنزل فلا بد من إخطارها قبل انتقالى بأسبوع .
هذه هى الشروط ، وأما التعاقد بمسه فقد كان شفويّاً دون ورق أو
كتابة ، وفيما عدا هذه الشروط فأنا حر أخرج وأعود متى أشاء . أستقبل
من أشاء وأفعل ما أشاء . .

كان لهذه الشروط الإنسانية وللأطمئنان إلى خطواتى الأولى فى أستراليا
أثر بالغ فى تهدئة مخاوفى وقلقى . وأعتقد أنه لولا ما قابلنى فى ساعاتى الأولى
من سوء توفيق غريب فى كل شىء لكان لى رأى مختلف فى أستراليا ، فإن كل
ما فيها معقول ومريح وإن كان غير مألوف للنازح الجديد .
ولعله قد حان الوقت لأن نعرف شيئاً عن أستراليا .

هى قارة صغيرة نسبياً (١٢ مليون نسمة) وسكانها الأصليون الذين
كانوا يقطنونها فى العصور القديمة ويطلق عليهم اسم (أبو رييجينال)
هم أغرب مخلوقات فى العالم ، فهم سود البشرة ولكن وجوههم قبيحة
بشكل منفر ، وأذرعهم طويلة تكاد تصل إلى أقدامهم وعند ما يسرون
يتحركون كما تتحرك القروء !

و (الأبوريجنال) ليس لهم حضارة ولا تاريخ ولا معتقدات ثابتة معروفة . وعندما دخل الرجل الأبيض أستراليا لأول مرة وجدهم يعيشون في الغابات كالحيوانات . لم يقاوموا الغزو الجديد ولم يرفضوا شيئاً ولم يقبلوا شيئاً بل ظلوا يفسحون الطريق للرجل الأبيض ويتزحون نحو الشمال حيث المناطق الحارة التي تصعب الحياة فيها على الرجل الأبيض .

والباقي منهم الآن يعيش في المناطق الاستوائية في شمال أستراليا . نفس المعيشة التي كانوا يعيشونها منذ آلاف السنين ، إذ يبدو أنه لا أمل إطلاقاً في جذبهم إلى المدنية ، وإن كانت الحكومة الأسترالية تحاول باستمرار ، صادقة أو كاذبة ، الله وحده أعلم - أن ترسل إليهم المبشرين والمعلمين والمدرسين ، بل إن هناك جمعيات أسترالية متطرفة تنادى بالمساواة في الحقوق المدنية بين (الأبوريجنال) والأستراليين الجدد . ومن وقت لآخر تنتق منهم الحكومة (عينات) بشرية لتجرى عليها تجارب الذكاء والغباء والقدرة على التعلم . وإن كان من المؤكد أن هذه الطائفة الغربية من المخلوقات في طريق الانقراض لسوء التغذية وسوء التكيف مع البيئة الجديدة ولطغيان الحضارة الأوربية .

أما الأستراليون الجدد (أحفاد الإنجليز) فإن تاريخهم في أستراليا بدأ منذ ٢٠٠ سنة بالتحديد ، وقبل ذلك التاريخ كانت إنجلترا تنظر إلى أستراليا كما ينظر المالك إلى قطعة من الأرض (البور) في أملاكه ، لأن بعدها الشاسع عن أوروبا ، وصعوبة الحياة فيها وصعوبة الوصول إليها كانت تقطع الطريق على كل محاولة لاستئناسها .

ثم حدث تضخم في (سجون) إنجلترا على إثر الثورات وحركات التمرد ،

ولم تعرف حكومة إنجلترا ماذا تفعل بمئات المساجين الواردين إليها يومياً . عند ذلك تذكرت أستراليا . . فلتنقل إليها هؤلاء المساجين فإما ماتوا في الطريق قضاء وقدرًا (وبذلك يرتاح ضمير إنجلترا) ، وإما وصلوا إلى المنفى وهو مصير أقسى من الموت .

هكذا بدأت سفن (الشحن البشرى) تنقل آلاف المساجين والمسجونات من شواطئ إنجلترا إلى قارة أستراليا . وكانت السفن تقطع المسافة فيما لا يقل عن مائتي يوم ، وكان المساجين جميعاً مغللين بالقيود الحديدية ، وكانوا يلقون أقسى ألوان المعاملة في هذه السفن الخشبية مما تسبب في وفاة أعداد هائلة منهم قبل الوصول .

ثم كان يحدث في هذه السفن نفسها ما يندى له جبين الإنسانية من فسق وفجور بين السجنائين والمساجين والمسجونات . وهذه حقبة سوداء في تاريخ إنجلترا .

وعندما تصل السفينة إلى شواطئ أستراليا فإنها كانت تلفظ شعنتها البشرية وتطلق لها السراح في المجاهل الجديدة فلا قيود ولا سجون . أستراليا كلها سجن كبير دون قيود .

واستمرت عمليات الشحن ، وامتلات موانئ أستراليا بالتزلاء الجدد ، الذين وجدوا في أستراليا - على عيوبها - فرصة جديدة للحياة ، فتمسكوا بها وبدعوا يخططون لاستقرارهم الدائم فيها .

هكذا بدأت حياة الرجل الأبيض في أستراليا .

حرث هؤلاء المنفيون الأرض وزرعوها ، وشيدوا المنازل ، وعبدوا الطرق ، وأنشأوا الجسور والكبارى والمدن وتحولوا مع الوقت إلى مواطنين

(عاقلين) يحبون الحياة الشريفة المستقرة ويحرصون عليها .
هؤلاء الأستراليون الجدد هم أنفسهم الذين ثاروا على إنجلترا فيما بعد
ورفضوا أن يستقبلوا مجرمين جدداً . . ووقفوا في وجه عمليات (الشحن
البشرى) حتى لا يتشوه كل ما صنعه هؤلاء المجرمين ، واضطرت إنجلترا
أن ترسل شحناتها البائسة إلى منفى آخر . . إلى أمريكا . .
وكان ذلك في سنة ١٧٦٧ ، وقد احتفلت أستراليا في سنة ١٩٦٧
بمرور مائتي عام على آخر شحنة بشرية وصلت إلى أرضها .
وأرض أستراليا أرض (فائرة) كل ما فيها ينبت بخصوبة غريبة . كل
شئ فيه نضارة رائعة ، وكأن الحياة تتفجر في كل ما يعيش على أرضها .
أما أستراليو القرن العشرين فهم لا يختلفون عن الملائكة إلا في أن
الملائكة لها أجنحة . وهم شعب مهذب مشرق صادق لا يعرف الكذب
ولا السرقة . .
هؤلاء هم الأستراليون الذين قابلتهم في أستراليا بعد مائتي عام من
استقرار أجدادهم الموصومين فيها .
وأستراليا تسمح بالهجرة إليها لجميع الأجناس ما عدا الجنس الأصفر .
ومن المستحيل أن تجد بلداً على وجه الأرض ليس له مواطنون في أستراليا .
وبعد أربعة أعوام ونصف من دخول المهاجر إليها يحصل على الجنسية
الأسترالية ويصير له كل حقوق المواطن الأسترالي . وأينا حلت في أستراليا
وجدت عشرات الجاليات المختلفة ، ولكن مصادر الهجرة الرئيسية إلى
أستراليا (وربما إلى العالم كله) هي اليونان وإيطاليا ولبنان ، ولذلك فإنك
قد تجد مدناً كاملة كل أهلها من الإيطاليين أو اليونانيين أو اللبنانيين .



على الشاطئ في أستراليا

والحرية هي (الغذاء) الرئيسي في أستراليا ، فالمواطن حر في كل شيء . في عقيدته . في تصرفاته . حر في أن ينتمي إلى أى ديانة أو ألا ينتمي إلى أى ديانة ، حر يلبس ما يشاء ويفعل ما يشاء . حر في اختيار الوظيفة التى يريدّها . حر في تركها . حر في البقاء فى الولاية التى يستريح فيها . حر فى هجرها . حر فى أن يقف على ناصية الشارع ليشر بالمذهب الذى يؤمن به ، ولو كان هذا المذهب هو المهدوم على أستراليا .
وأكبر مدن أستراليا هي (ملبورن) و (سيدنى) ، وهما أكبر موانئها

فى نفس الوقت ، وإليهما يقصد معظم المهاجرين لأنهما مركز الأعمال والوظائف .

أما (كَنبرا) فهي العاصمة التى تتوسط المسافة بين ملبورن وسيدنى .
(كَنبرا) مدينة من أجمل مدن الدنيا وأحدثها ، وقد ولدت فى أوائل القرن العشرين عندما تنهت أستراليا إلى التطورات السياسية العالمية ، وشاءت أن يكون لها عاصمة سياسية وتمثيل دبلوماسى . ثم ثار الخلاف حول اختيار مكان العاصمة ، وهل تكون (سيدنى) أم (ملبورن) حتى استقر رأى على إنشاء عاصمة جديدة تماماً فى مكان متوسط بين المدينتين الكبيرتين .

هكذا ولدت (كَنبرا) ، وبنيت على شكل دائرة هائلة خضراء تقوم فيها الشوارع والمباني على شكل دائرى أيضاً . ولكنها اقتصرت على السفارات والقنصليات ، وخلت - تقريباً - من الوظائف التى تناسب المهاجرين . وأستراليا بها ست ولايات (نيوسوث ويلز - فيكتوريا - كوينز لاند - سوث أستراليا - تاسمانيا - وست أستراليا) . ولا تختلف واحدة من هذه الولايات عن الأخرى فى احتياجها لكل خبرة فى كل مجال .

ونظراً لقلة كثافة السكان (١٢ مليون نسمة) بالنسبة لمساحة الأرض الهائلة فإن أستراليا ترحب بالمهاجرين من كل مكان ، وتذهب فى ذلك إلى حد أن تستجلب المهاجرين من بلادهم على حسابها . وإن كانت تشترط بعد ذلك أن يعمل المهاجر لمدة ٣ سنوات فى العمل الذى تختاره له ولا بد لتنفيذ ذلك أساساً من وجود اتفاقية بين أستراليا وبين البلد الذى يصل أبناؤه بالمجان مثل إيطاليا واليونان .



الجيل الجديد في أستراليا

والأعمال متوفرة في كل لحظة وفي كل مكان في أستراليا .
 والسبيل الأول هو مكاتب العمل . وهي نوعان : الأول يختص بالعمالة
 العادية (النجارة - الحدادة - الكهرباء - السمكرة . . إلخ) والثاني
 يختص بالشهادات العليا والمتوسطة . والشهادات من جميع البلاد معترف بها
 في أستراليا بشرط أن تقدم مترجمة إلى الإنجليزية ترجمة معتمدة من السفارة
 الأسترالية أو الإنجليزية أو من بنك (نيوزووث ويلز) في أستراليا الذي يساعد
 المهاجرين مجاناً ويترجم مستنداتهم من جميع اللغات إلى الإنجليزية وهي

اللغة الرسمية في أستراليا .

وبعد تقديم الشهادة المترجمة إلى مكتب العمل يمر المتقدم بامتحان شفوي إذا جازه منح شهادة خريج من إحدى جامعاتها وإلا فإنه يدرس مادة أو اثنتين يمنح بعدها هذه الشهادة .

والعملة الأسترالية كانت الجنيه الإسترليني إلى سنوات قليلة . ثم أصدرت أستراليا الدولار الأسترالي ، وهو يعادل (٥٠ قرشاً مصرياً) ويحتوى على (١٠ شلنات) أو (١٠٠ سنت)

والحد الأدنى للمرتبات بالنسبة للعامل العادى هو (٤٢ دولاراً) في الأسبوع وبالنسبة للجامعى (٨٥ دولاراً) . وأسبوع العمل خمسة أيام ، ويوما السبت والأحد إجازة رسمية . ووقت العمل في اليوم (٨ ساعات) من الثامنة صباحاً إلى الخامسة بعد الظهر . تترات استراحة للشاى وتناول الغداء .

وكل ساعة عمل (إضافية) تحتسب بساعة ونصف . ومن يعمل يوم السبت يتقاضى أجر يوم ونصف ، أما يوم الأحد فأجره يساوى أجر يومين .

وفي كل شهر مكافأة قيمتها أجر يوم وربع ، وفي كل سنة إجازة ثلاثة أسابيع بأجر بالإضافة إلى الأعياد الرسمية والقومية (وما أكثرها) وكلها بأجر .

وأبدع شيء في هذا النظام كله هو تأمين البطالة وهو مبلغ (٨ دولارات) في الأسبوع للمهاجر الجديد و (١٦ دولاراً) لمن حصل على الجنسية الأسترالية .

هذا التأمين يحصل عليه بمجرد خروجه من عمله (سواء كان هذا الخروج بسبب الاستقالة أو الفصل أو الرغبة في البحث عن عمل جديد وحتى لو كانت مدة البطالة أسبوعاً واحداً) . .

والمعاش لكل مواطن (لا لكل موظف فقط) وهو معاش يحصل عليه المواطن بمجرد بلوغه سن الخامسة والستين حتى لو كان يعمل أو لو استمر يعمل .

ومدارس الأطفال بالمجان ، بل إن الحكومة تمنح الأم التي تبقى في البيت لتربية أولادها دخلاً أسبوعياً تشجيعاً على كثرة النسل .



الطيور الغريبة

والمواطن المثالى فى أستراليا هو المواطن الذى ينجب أكبر عدد من الأطفال . .

ويستطيع الفرد أن يعيش عيشة ممتازة فى حدود (٢٥ دولاراً) فى الأسبوع . فالغرفة المفروشة لا يزيد إيجارها على (٨ دولارات) فى الأسبوع ، والبدلة الصوفية الجاهزة فى حدود (٤٠ دولاراً) والحذاء (٤ دولارات) والخروف المذبوح (٤ دولارات) والدجاجة المثلجة (دولار ونصف) ودسته البيض (نصف دولار) .

والأستراليون لا يأكلون إلا اللحم الأحمر فقط . أما الكبدة والكلأوى والمخ وباقى أجزاء الذبيحة فإنهم يلقونها فى صناديق القمامة . ثم تعلموا من المهاجرين أن هذه الأجزاء صالحة للأكل فكفوا عن إعدامها ولكنهم لم يتعلموا أكلها . عرضوها للبيع فقط بأسعار مضحكة . .

أما الفواكه والخضراوات فإنها تباع مقطعة مجهزة فى أكياس أنيقة . وأما اللبن والشاى والسكر فأسعارها زهيدة لا تكاد تذكر .

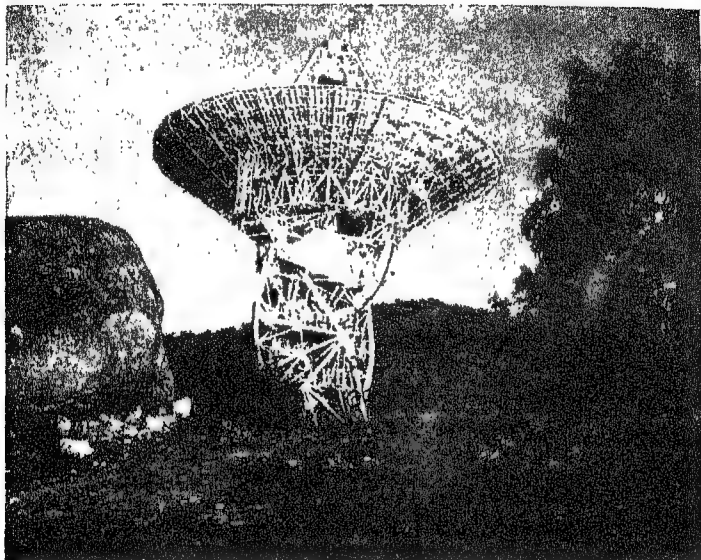
والسيارة الجديدة تباع فى حدود (٦٠٠٠ دولار) ، أما المستعملة فقد يهبط ثمنها إلى (١٠٠ دولار) ، وكل شىء يباع بالتقسيط .

ولا يوجد فى مجال البيع والشراء شىء اسمه الخدمة (البشرية) ، فكل شىء يتم بطريقة آلية . محلات البيع تدخلها فلا تجد بائعاً أو بائعة وإنما تجد البضائع كلها مرتبة أنيقة وعلى كل سلعة سعرها ، فأنت تختار ما يعجبك وتضعه فى عربة يد وفى النهاية تحاسب على ما جمعت من مشتريات . هذه المحلات يطلق عليها اسم (اخدم نفسك) ، وهذا النظام نفسه يطبق فى محلات الغسيل ، وهى محلات كبيرة منتشرة فى جميع الشوارع ،



نهر يارا

وليس فيها موظفون بل غسالات كهربائية تعمل أوتوماتيكياً عند وضع الأجر المحدد في الخانة المخصصة له وهو (١٥ سنتاً) . وبعد نصف ساعة يخرج الغسيل نظيفاً معصوراً . ثم ينقله صاحبه إلى دولا ب التجفيف في مقابل (٥ سنتات) وبعد دقائق يخرج الغسيل جافاً أربعة وعشرين قيراطاً . ومكاتب العمل ليست هي الطريق الوحيد للحصول على عمل ، فإن الجرائد تنشر يومياً مئات الإعلانات عن مئات الأعمال والوظائف التي تناسب صاحب الخبرة وعديم الخبرة . فإذا قرأ طالب العمل إعلاناً عن وظيفة



محطة الرادار

تناسبه فإنه يتصل بصاحب الإعلان ويطلب منه تحديد موعد لمقابلة شخصية (ولا يمكن على الإطلاق مقابلة أى إنسان فى أستراليا دون موعد سابق) .

وفى المقابلة الشخصية يعرض الطالب مستنداته وخبراته ، فإن أعجب ذلك صاحب العمل وافق - فى الحال - على تعيينه وإلا فإنه يعتذر إليه حتى لا يضيع وقته . وما أئمن الوقت فى أستراليا .

والبنوك تنتشر فى كل مكان كما تنتشر محلات الكسرى والطعمية

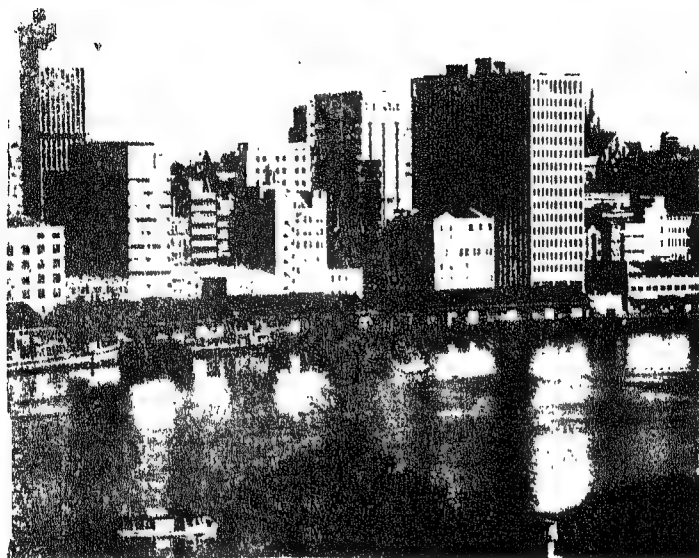
في بلادنا ، والذي له حساب في أحد البنوك تكون جميع فروع هذا البنك في كل ولايات أستراليا تحت تصرفه .

وإجراءات البنوك تتم بسرعة مذهلة . والموظفون في البنوك وفي جميع المصالح لا يختلفون عن الآلات الكهربائية إلا في أنهم يتنفسون .

والموظف الأسترالي يعرف أنه يتقاضى أجره ليعخدم الجمهور - فعلا - ولذلك فإنه في أثناء أداء مصلحة أى مواطن يعتبر نفسه خادماً لهذا المواطن .

والجالية العربية في أستراليا كبيرة لا أول لها ولا آخر (٦٠ ألف عربي) وهى تجمع بين اللبناني والسورى والفلسطينى والعراقى والأردنى والمصرى . والمصرى هو (أحدث) مهاجر عربى في أستراليا . وربما في العالم كله . ولكنه يتميز بين مواطنيه العرب بأن نسبة الشهادات الجامعية بين زملائه هى أعلى نسبة بين باقى المواطنين العرب . ولعل السبب في ذلك هو أن الهجرة في بلادنا نظام حديث ، ولذلك أقبل عليها معظم الجامعيين . أما في البلاد العربية الأخرى مثل لبنان فإن الهجرة منها (تقليد) قديم . والمهاجر اللبنانى يعتبر العالم كله مجالاً مفتوحاً له . ويهاجر وهو شاب صغير ثم يلقى بنفسه في غمار جميع الأعمال المناسبة وغير المناسبة ، بعكس المهاجر المصرى الذى تساعده شهادته الجامعية وإتقانه اللغة الإنجليزية على اختيار الوظيفة المناسبة . .

وهناك تجمعات عربية كثيرة قد تختلف أسماءها ولكنها تتفق في النهاية في أهدافها مثل (المركز الإسلامى) وهو فرع من مراكز (الاتحاد الإسلامى) الذى يشرف على المراكز الإسلامية في ولايات أستراليا كلها . والمركز الإسلامى في (ملبورن) يشرف عليه المواطن اللبنانى



المنشآت الحديثة في أستراليا

(الشيخ فهمى الإمام) وهو يبذل جهوداً طيبة فى رعاية المهاجرين العرب ويقوم بخدمتهم فى الشؤون الدينية ومراسم الزواج والوفاة . الخ . بالإضافة إلى الاحتفالات الدائمة بالمناسبات الدينية . ومن أحلام (الشيخ فهمى الإمام) بناء مدينة إسلامية تجمع بين المسجد والمدرسة وبيوت المسلمين . وهو يجمع التبرعات لذلك باستمرار . وقد تبرعت له الكويت أخيراً بمبلغ (٢٠ ألف جنيه) ثم تبرع له الأمير صدر الدين خان بشيك على يياض عندما زار أستراليا .

وهناك (الجمعية اللبنانية) وهي فرع من (الجمعية اللبنانية العالمية) في أمريكا وكندا وأستراليا . ومن أهدافها الإشراف على العرب ورعاية شئونهم وتقديم المساعدات لهم في خطواتهم الأولى . ويشرف على الجمعية اللبنانية في ملبورن (الخورى بولس الخورى) .

وهناك (الرابطة العربية) وهي إحدى التجمعات العربية في أستراليا . وهي بجانب اشتراكها مع التجمعات الأخرى في أهدافها الطيبة فإنها رابطة (سياسية) تخطط باستمرار لمقاومة أكاذيب الصهيونية ، وتقف لها بالمرصاد ، وتهاجمها في الجرائد والإذاعة والتلفزيون . وقد أنشأ الرابطة العربية في ملبورن (الدكتور ناصح ميرزا) السورى الأصل ، وهو رئيس قسم دراسات الشرق الأوسط في جامعة ملبورن .

وقد أضيف إلى هذه التجمعات فيما بعد جمعية جديدة باسم (أضواء القاهرة) كان لى الشرف أن أكون مؤسسها ، وأن أقدم المسرح العربى بها لأول مرة في أستراليا .

أما في هذه اللحظة فإننى لم أكن أعرف شيئاً قط ، كل ما كنت أعلمه هو أن معدتى قد امتلأت وأننى وجدت أخيراً أسقفاً (معقولا) أحتسى به ، وأننى ضمنت حياتى لعدة أيام قادمة ، وأن أستراليا ما تزال تبدو لى لغزاً هائلا مجهولا ، وأنى على موعد فى الرابعة بعد الظهر مع (مستر آدمز) كان يتوقف عليه - فيما يبدو - مستقبلى فى أستراليا .

حرصت على أن أخرج فى الثانية لأضمن الوصول فى الرابعة ، ولكنى لم أصل إلا فى الرابعة وعشر دقائق . المهم أنى وصلت مطمئناً إلى أن « مستر آدمز » سوف يغفر هذا التأخير البسيط من شخص لم تمض عليه

أكثر من ساعات في قارة الأحلام .

نقرت الباب بلطف ثم دخلت وعلى وجهى ابتسامة عريضة وقلت :

— مساء الخير يا مستر آدمز .

ووجدت مستر آدمز الموعود شاباً صغيراً مصفف الشعر بطريقة الخنافس ، ووجدت أمامه رجلاً بدا من اضطرابه « وبهذلة » ثيابه أنه مهاجر جديد . وضاعت الابتسامة في وجهى عندما نظر إلى مستر آدمز ببرود شديد وأخبرنى أن موعدى كان في الرابعة لا الرابعة وعشر دقائق . ثم انصرف عني تماماً إلى زائرته المضطرب .

وأغلقت الباب على مستر آدمز وزائرته وأملى في وظيفة في أستراليا . ولم أدر ماذا أفعل ، فعدت إلى الشاب الذى حدد لى من قبل موعداً مع مستر آدمز والذى كان يبدو أقرب إلى البشر فقصصت عليه قصتى مع مستر آدمز ولعلنى أقنعتة ببرأتى أو لعله أراد أن يتخلص منى ، فإنه حدد لى موعداً جديداً مع المستر آدمز الذى بدأت أشعر أنه المفتاح الوحيد لدخول أستراليا .

جاء الموعد الجديد في الحادية عشرة من صباح اليوم التالى ، وحرصت هذه المرة على أن أبدأ جولتى في الثامنة ثم نجحت في الوصول في الميعاد .

وكانت نتيجة المواقفة غريبة للغاية . استقبلنى مستر آدمز ببشاشة ولطف ، ولم يشر إلى (جريمة) تأخرى بالأمس ، وقرأت في وجهه أنه صفح عنها صفحاً جميلاً ، ثم قرأ مستندائى وسألنى عن خبراتى وطبيعة ما يمكن أن أقوم به من أعمال ، وأصدر بقمه مصمصات تدل — ربما — على التقدير . وأخبرنى أننى اخترت وقتاً سيئاً (شهر يناير) لدخول أستراليا .

لأن إجازات عيد الميلاد تمتد من ديسمبر حتى تكاد تغطي يناير . كنت قد بدأت أشعر بأننى اخترت « قارة » سيئة للهجرة ، وعلى أى حال فقد بدأ مستر آدمز العجيب يبحث لى عن وظيفة ، ففتح دفتر التليفون وبدأ يكلم الشركات والمصانع التى قد يكون بها عمل يناسبنى . ومع كل مكالمة كان قلبى يخفق ثم يهبط مع كلمة « شكراً » التى ينهى بها مستر آدمز مكالمته .

ساعة كاملة وهو ينتقل بالتليفون بين الشركات المختلفة حتى أصابنى « أنا » الملل والفطور وودت أن أعود إلى حجرى ، التى لا يعلم إلا الله كيف أصل إليها ، ثم أشعلت سيجارة وأشعل مستر آدمز سيجارة وقال لى معتذراً إنه لا يجد عملاً يناسبنى ، فهل أقبل عملاً لا يناسبنى مؤقتاً ؟ وافقت حتى تنتهى هذه الجلسة المملة ، وعند ذلك أمسك بالتليفون من جديد لأمد لم يطل . من المكالمات الأولى وجد الوظيفة غير المناسبة : وظيفة « أمين مخزن » ، وفى الحال وردت إلى خيالى صورة أمناء المخازن فى مصر . . المكتب الكبير والساعة الكثيرون والشاى الذى لا ينتهى والرجاءات والمجاملات . . وفى نفس الوقت كان مستر آدمز قد كتب لى خطاب التوصية المطلوب ووضع فى ظرف أنيق وسلمه لى لأقدام نفسى « فوراً » إلى مخازن « كولز » . وضعت المظروف فى جيبي وخرجت ممتناً متعباً مصمماً على أن أصل فى نفس اليوم إلى « مخازن كولز » ، فقد أكد لى مستر آدمز أنهم فى انتظارى .

وركبت القطار وغادرته بعد ثلاث محطات كما أوصانى مستر آدمز ولكنى وجدت نفسى فى المتاهة التى كنت أجده نفسى فيها منذ أن

وصلت إلى القارة السعيدة . . شوارع لا متناهية الطول والعرض وعربات تمر بسرعة الريح تعبر الشوارع صعوداً وهبوطاً في سرعة جنونية ، ثم لا أحد يسير ليسأله الإنسان عن شيء .

وحمدت الله على أنني لا أحضر هنا بناء على موعد محدد بل « يوم » محدد . لذلك أستطيع أن « أتوه » حتى نهاية اليوم كما أشاء .

ووصلت في النهاية إلى أرض فضاء شاسعة في وسطها بناء ضخم مكتوب عليه « مخازن ج . ج . كولز » .

ودخلت من الباب الذي لا يقوم على حراسته أحد ، فوجدت نفسي في صالة صغيرة بها أثاث قليل ونافذة تجلس خلفها فتاة ، فتقدمت نحوها وطلبت مقابلة مستر ويزرز ، فأمرتني بالانتظار ثم طلبته بالتليفون فحضر ليقابلني في نفس الصالة الصغيرة .

وعجبت أن شخصاً مثل مستر ويزرز يكون موظفاً في حين أن كل ما يناسبه هو ملجأ للعجائز أو متحف للعجائب ، فهو مخلوق ضئيل محدودب الظهر ذو ساق خشبية ويد خشبية .

لم أجد فيه شيئاً يمكن أن يوصف بالحياة إلا عينيه النافذتين اللتين ترسلان من وراء نظارته السميقة أشعة حادة أكاد أقسم أن بها تياراً من الكهرباء .

ثم تكلم مستر ويزرز ، وبذلك أضاف عجبية جديدة إلى عجائبه السابقة فعندما انفرجت شفتاه تحركت كل أجزائه وجهه بسرعة وإخلاص كأنها أجزاء لعبة متصلة ، ولكن استحال على أن أعرف أكان مبتسماً أم مكشراً عن أنيابه . .

ونفضت واقفاً بمجرد ظهوره ، ومددت له يدي بالسلام فسلم في دهشة
عرفت فيما بعد مصدرها ، وهو أن السلام باليد شيء غير معروف -
أو مطلوب - في أستراليا .

سلمته خطاب التوصية ففتحته وبدأ يقرؤه وهو يتلصظ كأنه يعض
بأسنانه قطعة من الكاوتشوك ، ثم قادني إلى ما يسميه حجرة مكتبه ،
وهو في الحقيقة شق صغير في الحائط به ترابيزة صغيرة كأنها ترابيزة
طفل صغير ويجوارها كرسي . وأشار إلى بالجلوس فحشرت نفسي في
الكرسي وجلست وأنا أخفي عجيبي وأحرص على أن يرى مني أحسن ما عندي .
سألني عشرات الأسئلة وأجبت عنها ، وفي النهاية قال إنني نجحت في
الامتحان « ولعل هذا أعجب امتحان مررت به » ثم كتب لي في ورقة
صغيرة قيمة مرتبي الأسبوعي وضرائي الأسبوعية ومواعيد الحضور وطلب مني
أن أحضر في اليوم التالي لتسلم عملي .

كانت مواعيد الحضور هي الثامنة إلا ثلاث دقائق ولكنني كنت أمام
المخازن في السابعة والنصف ولم أجد أحداً أو شيئاً في هذه الصحراء الخضراء
في ذلك الوقت ، فربطت أمام الباب حتى حضرت عربة صغيرة خرج منها
صديق الأمس مستر ويزرز . تقدمت إليه أحياه ولكنه نظر إليّ كأنه
لا يعرفني ثم قال باقتضاب : فيما بعد . وسرعان ما اختفى داخل المبنى .

وقفت حائراً لا أدري ماذا أصنع ولكن بدأ الناس يتواردون ويدخلون
ويوقعون في الساعة ففعلت مثلهم ، ووقفت في الصلاة لا أدري أين طريق
مكتبي ، وعند ذلك ناداني مستر ويزرز وقد مني إلى شخص اسمه « جيري »
وأخذني « جيري » ، من حجرة إلى حجرة وهو يكلمني بسرعة في واجبات

عملي فلم أفهم شيئاً مما قاله ، ولكنه أوصلني إلى « بيل » الذي قطع بي شوطاً آخر ، ثم أوصلني إلى « إيدى » الذي عرفت منه مكان المطعم والدولاب المخصص لثيابي ثم تسلمني منه « جوني » فسار بي من مخزن إلى مخزن حتى وصلت إلى المكان الذي خصص لعملي ، وعند ذلك نادى شاباً كان يعمل في نفس المكان لكي يمررني على العمل الجديد .

وأفقت لنفسي بعد هذا المشوار فوجدتني في فناء واسع به عشرات الأشخاص الذين يعملون كالنحل في تعبئة بضائع في صناديق من الكرتون ثم يضعونها على عربات يد صغيرة يقودها أشخاص آخرون حتى تخرج من البوابة .

وهو مخزن بضائع حقاً ولكن لا مكتب ولا سعاة ولا شاي . أنا المكتب وأنا السعاة وأنا الشاي والكل حولي يعمل في سرعة ونشاط كالقردة ثم تنبهت إلى معلمي الجديد ووجدته شاباً باسم الوجه قدم لي نفسه باسم « جيدو » وقال إنه يوناني ، ثم هون على العمل وقال إنني سرعان ما أعود للعمل وأعرفه .

وجاء جيدو حقاً الواحة الوارفة الظلال وسط الصحراء الجليدية التي شملتني منذ الصباح . ولم يشغل جيدو نفسه كثيراً بالتفكير في أمري ومحاولة معرفة « قصتي » فإنه سرعان ما وضعني في إطار المهاجر النموذجي . الرجل الفقير الذي تضيق به بلده فتلفظه إلى بلاد أخرى تملك المال والعيش وتبني الحياة - الكريمة أو غير الكريمة - لكل من يدخلها .

هكذا عرفت من جيدو أنني حسن الحظ لحصولي على هذا العمل فهو عمل جيد يحسدني عليه الكثيرون ، بل إنه سألتني عن « الوساطة »

الذى ألحقنى بهذا العمل .

أما لماذا وصف هذا العمل بأنه عمل جيد فلأنه نظيف فى مقابل أعمال كثيرة كنت سأضطّر فيها إلى أن أغوص فى الأوحال وأتسلق الجبال وأغطس فى المناجم وأطفو فى الحقول .

هو عمل جيد إذن . وإذا نجحت فى الحصول على عطف رئيسى المباشر فإنه يسمح لى بعمل إضافى أتناضى الأجر فيه مزدوجاً ، وكيف أحصل على هذا العطف ؟ أن أحرص على ألا أتكلم فى أثناء العمل وألا أضحك وألا أذخن وألا أجلس وألا أقف وأن أبدو طول الوقت عبداً نشيطاً سعيداً .

ثم أسر إلىّ جيدو بأنه من القلائل الذين يحضرون للعمل فى أيام الإجازة الأسبوعية فيحصل بذلك على أجر يومين فى مقابل عمل يوم واحد . وما الذى يقوم به فى هذا اليوم ؟ إنه يكنس ويمسح المخزن كله . . وكان يجب أن أستعين بقدر كبير من الهدوء لكى أتصور أنه جاد فى كلامه ، وبقدر أكبر من الهدوء لكى يبدو علىّ الإعجاب والتقدير . فمن المؤكد أننى لم أترك بلدى لكى أكنس وأمسح مخازن أستراليا .

ثم اتبعت نصيحة - نفسى - التى خلقتها الظروف المتلاحقة وهى ألا أدهش لشيء أو على الأقل لا أبدى هذه الدهشة ، فهذا مجتمع جديد علىّ . إما أن أقبله أو أرفضه كما هو . .

وركزت انتباهى على جيدو لأرى كيف يقوم بعمله فوجدته يعمل بمهارة ودربة وسرعة وبساطة ، وشاركته شيئاً فشيئاً فى تعبئة هذه البضائع التى بدا أنها نهاية لها ، وكأنا هذه المخازن تصدر بضائعها للعالم كله . . وكنا نضع البضائع الكثيرة فى صناديق من الكرتون ثم نربط هذه الصناديق بالحبال

ونحملها إلى حيث تنقلها عربة اليد . وسال عرق ونال منى الجهد والتعب فلم أعود من قبل هذا المجهود اليدوى الجسمى الشاق ، ولكنى وضعت ثقى فى قدرة الإنسان الطبيعية على التكيف والتعود .

وبعد ساعتين من بداية العمل فوجئت بصوت صفارة يدوى فجأة ، ورأيت الجميع يتركون ما بأيديهم ويحرون فى اتجاه واحد . هل هو إضراب ؟ ورقص قلبى فى صدرى ، ولكن جيدو جذبنى من يدى وهو يصيح : الشاى . الشاى . .

وصلنا إلى حيث يقف الجميع فى طابور طويل أمام عربة صغيرة عليها براميل ذات صناير بعضها للشاى وبعضها للبن ، أما السكر فكان موضوعاً فى إناء كبير فوق العربة .

وملأت فنجانى وجلست بجوار جيدو ونظرت حولى فإذا الجميع يقرءون جرائد الصباح بسرعة واهتمام كأنهم فى عمل جاد فى حين انتحى بعضهم جانباً وأخذ يلعب الورق ، وعرفت من جيدو أنهم يكملون أدواراً بدأت بالأمس وقد لا تنتهى اليوم ، فهم يلعبون فى كل فترة شاى .

لا وقت للكلام ولا للتراخى وحتى اللعب يؤدونه فى جد . . هل أستطيع يوماً أن أهضم هذه الحياة الصارمة وأفرزها أحوالاً وتصرفات ؟

وانتهى وقت الشاى الخاطف وعدنا إلى تعبئة البضائع اللعينة ، وبعد ساعتين انطلق الصوت المزعج من جديد إيداناً بوقت الغداء ، وجريت مع زملائى ، ولكنى لم أصعد إلى المطعم بل خرجت إلى الهواء الطلق واشترت غداً من محل قريب ثم جلست أتناوله فى الفضاء المحيط بالمصنع . وتمددت على الأرض أريح عضلاتى المكدودة فلم أعد أرى إلا السماء

الرمادية تحيط بي ، وطار طائر أبيض ثم هبط على الأرض وهو يطلق صيحات ذكرتي بالغراب ، ثم سار يحجل فوق العشب ، إنه غراب حقًا ! ! ولكنه غراب أبيض . .

طالما قال العرب القدماء : عندما يشيب الغراب . وها هو ذا الغراب قد شاب فماذا بعد ؟

وشعرت بأنني أبتعد عن العشب الأخضر والسماء الرمادية والغراب الأبيض والمخزن الرهيب وأصل إلى حيث يعيش الناس حقًا ويضحكون بأصوات عالية ويجعلون من كل شيء مشكلة تستحق الاهتمام ، وسمعت ضجة الناس والحياة والراديو وعشت زحام الشوارع والعربات ورأيت الشمس الذهبية الدافئة تسكن السماء ولا تفارقها .

ثم ردتني إلى الواقع صوت الصفارة يدعونا إلى العذاب من جديد ، فنهضت ونفضت العشب من ثيابي وسرت وسط القطيع . إلى الداخل .



❁ دائرة الطباشير الأسترالية ❁

فجأة دب الخلاف بيني وبين جيدو اليوناني ، صديق ومعلمي في مخازن (ج . ج . كولز) ، وجاء الخلاف من جانب واحد . جانبه هو . والسبب فيه (اللغة) . .

وأقول (فجأة) برغم أن الخلاف جاء بعد ستة أسابيع من العمل في المخازن . إلا أن هذه الأسابيع كانت قد انقضت في محاولة (تربية) الصداقة بيننا ، فلما جاء الخلاف نتيجة لهذه المحاولات أو بعد المحاولات كان إذن فجائياً .

ولكن كان قد سبقه خلاف آخر عميق بيني وبين المخازن كلها ومن فيها . ربما من اليوم الأول . ولم يحدث بعد ذلك في كل يوم إلا ما يزيد هذا الخلاف أو يعمقه .

لم أستطع إطلاقاً مثلاً أن (أبلغ) نظرة هؤلاء الناس إلى الحياة . هذه النظرة التي تكاد تكون شيئاً غريباً أكثر منه عقلياً لقلة اهتمامهم بالتفكير واندماجهم بالأكثر في ساقية ظروف حياتهم التي تدور بهم أو يدورون بها ولا يتوقفون أبداً .

لم أفهم كيف يمكن أن يقضي الإنسان أعواماً من عمره لا يفعل شيئاً

إلا تعبئة بضائع لا أول لها ولا آخر وهو تحت تأثير كرباج غير منظور . هذا الكرباج هو الرؤساء الذين ينتشرون في المخازن كالنحل فإذا لاحظوا (نأمة) لا تعجبهم في عمل واحد من العمال فإن نتيجة ذلك هي الفصل الفوري المصحوب بالابتسامة الرقيقة والتمنيات الطيبة . ما أسهل الفصل وما أسهل أى شيء في هذه المصانع ، وليس بين العامل وصاحب العمل إلا (يفتح الله) . وأذهلنى أن أجد عمالاً أمضوا عشرات السنين في هذا المخزن حتى استحقوا في النهاية نيشاناً مضحكاً يحمل اسم (ج . ج كولز) على صدورهم . لم تزد مرتباتهم ولم تخف واجباتهم . كل الذى حصلوا عليه مقابل استمرارهم في العمل هو استمرارهم في العمل . فلا علاوة ولا ترقية ولا جلوس على مكتب ولا تخفيض في ساعات العمل . ولا شيء . . . وبعد أيام أخبرنى رئيسى بأن هناك (مصرياً) آخر في المخازن اسمه (ريكو) وأنه في المخازن منذ سنوات . ثم عرفنى به فوجدته مصرياً (فرانكو آراب) فهو يتكلم العامية المصرية ، وهو قد ولد في مصر وعاش فيها ، وهو من جنسية لا يعلمها إلا الله ، ثم خرج من مصر مع من خرجوا عندما بدأت مصر تنفض عن ظهرها الطفيليات والطحالب . وقد تبادلنا النفور على الفور فلم أرفيه إلا مسخاً مشوهاً ، لا هو مصرى ولا هو أجنبي ، ولم يرف إلا مصرياً فلاحاً ثقیل الظل . هكذا انفصلنا بمجرد أن تقابلنا ، ثم لاحظت بعد ذلك - على البعد - أنه يتشبه بالأستراليين في كل شيء ، فيتحدث مثلهم ، ويتصرف مثلهم ، ووجدته يتمتع حقاً بمكانة ممتازة بينهم . رأيت فيه صورة دقيقة للبعد الشبان النشيط السعيد .

ولقد تصورت أنه قد يحىء يوم على عمال المخازن يتحولون فيه إلى مخلوقات أخرى غير إنسانية ، وسوف ينسون اللغة - أيًا كانت اللغة التي يتخاطبون بها - فإن لغتهم التي سمعها كانت مزيجاً من العواء والنباح والشوشرة غير المفهومة التي لا تعنى شيئاً والتي ربما كانوا لا يقصدون بها شيئاً . أو على الأقل شيئاً معقولاً .

وكنت كلما رأيت سعادتهم بعبوديتهم ازدادت نفسى بعداً عنهم . واجتججت في صمت على هذا العمل وهذا النظام وهؤلاء الناس . ثم اكتشفت بعد ذلك أنهم ليسوا سعداء جداً كما يبدو عليهم . ضبطتهم يدخنون في دورة المياه مرة بعد مرة وواحداً بعد الآخر حتى اضطرت أن أراجع نفسى فيما أصدرته عليهم من أحكام . إن هذه الأعمال (الصغيرة) هي احتجاج على القبضة الحديدية الباردة التي تغل أعناقنا جميعاً .

وهل أستطيع أن أفعل مثلهم ؟ وحربت . ولكنى ما كدت أشعل سيجارة حتى فتح الباب ودخل رئيسى كأنه كان في أعقابى ، وهاج وثار ثم سار وأنا خلفه أنحبط في سخطى وخجل . كيف عرف ذلك المجنون أننى دخلت لأدخن ؟ ولماذا لا يضبط الياقين ؟ . . وعدت إلى مكان عملى فوجدت الابتسام الخبيث يعلو وجهه جيرانى . هل هى مؤامرة ؟ وإذا كانت مؤامرة فكيف عرفوا أننى ذهبت لأدخن ؟

زميل واحد هو الذى أبشقت على موقعى وأخبرنى أن أذهب إلى (دائرة الطباشير) كلما شئت التدخين . أين دائرة الطباشير هذه ؟ فأشار إليها . إنها على بعد أمتار من مكان عملى ، وطالما رأيت العمال يقفون فيها

ويدخنون دون أن أفهم سراً لحرية تدخينهم . ولكن جاك - زميلي الجديد - أوضح لى أن هذه الدائرة الطباشيرية هى المكان المخصص للتدخين ، ومن حق كل عامل أن يذهب إليها مرتين فى اليوم . كل مرة لمدة دقيقة . وبالرغم من أن التدخين فى دائرة الطباشير (حلال) إلا أنه ليس من المستحسن التواجد فيها كثيراً حتى لا يأخذ الرؤساء فكرة سيئة عن العامل . لهذا إذن يلجأ العمال إلى دورة المياه للتدخين .

وبدأت أستعمل حتى القانونى ودخلت دائرة الطباشير وأخرجت علبة السجائر وأشعلت سيجارة . ودائرة الطباشير هى دائرة صغيرة فى وسط المخزن الكبير لا تكاد تتسع لوقوف ثلاثة أشخاص متلاصقين . ولكن ما أجمل الإحساس بالحرية والشرعية وأنا أقف فيها أدخن . . . إننى أنظر حولى بأمان الطفل فى حضن أمه وأخرج لسانى (فى سرى) لكل شئ حولى . . أنا فى دائرة الطباشير حر . . أدخن وأنظر حولى دون أن أخشى الفصل . أقف معوجاً كما أشاء . أطرق أصابعى كما أشاء ، بل إننى أستطيع أيضاً أن أجلس القرفصاء ، فما أجمل هذا ! . .

وتعلمت فى المخازن أن أبرع ما يفعله العامل هو (سرقة) الوقت ، دقيقة فى دائرة الطباشير فى الصباح ودقيقة أخرى فى المساء . ثم دقيقة فى دورة المياه بين هذا وذاك . ودقيقة أخرى لتنظيف قطعة الإسفنج التى تستعمل فى بل الشرائط اللاصقة . أربع دقائق كاملة وربما خمس . . كانت هذه هى السعادة الوحيدة وسط ذلك النظام الصارم المجنون .

ولكن الجديد لا يظل جديداً إلى الأبد . سرعان ما تعودت هذه السعادة حتى صارت مع الوقت شيئاً عادياً لا يثير فى نفسى ما كان يثيره

فيها من دواعي السرور . وتطلعت نفسى إلى ترويح جديد . الكلام . أريد أن أتكلم وأن أسمع غيرى يتكلم . أى كلام . ولكن مع من أتكلم ؟ . إن (جيدو) لا يعرف من الإنجليزية إلا كلمات قليلة لا تتجاوز التحية وتخدوهات . وهو فى ذلك لا يختلف عن معظم المهاجرين اليونانيين الذين يتصفون بغباء ذهنى غريب ، فهم قد يقضون أعواماً فى بلد المهجر دون أن يتعلموا لغته . ربما كان غباؤهم هو السبب . وربما كان أيضاً تكتلهم وتلاصقهم مع أبناء جلدتهم فى أى بلد يحلون فيه . ولما كانت معظم الأعمال (صامتة) وكانوا يقضون وقت الفراغ الضئيل مع يونانيين مثلهم فأين يمكن أن يتعلموا لغة أخرى غير اليونانية ؟

هكذا لم تجد محاولاتي مع جيدو شيئاً . ولكنى لم أياس ، كان جيدو هو جارى الوحيد ، ولكن (جاك) كان جاراً (منتسباً) فهو مكلف بوضع صناديق البضائع التى نملؤها على قضيب متحرك يسير بها إلى داخل المخزن فهو يقترب منى مرة كل ربع ساعة للحظة خاطفة ثم يتابع سير البضائع على القضيب .

فى هذه اللحظات الخاطفة تمكنت من إنشاء علاقة طويلة المدى مع جاك فى كل مرة كان يقترب منى فيها وذلك بأن أقول أول ما يخطر ببالي ، وقد يرد أولاً يتمكن من الرد فيرد عند عودته . وعرفت أنه يكره العمل فى المخازن لأنه ليس عاملاً عادياً . . . إنه صاحب مهنة . ما هى هذه المهنة ؟ طباط . وضحكك عندما لم أجد فارقاً كبيراً بين العامل والطباخ ، ولكنه قال جاداً جداً : إن مهنة الطباخ تكسب دولارات أكثر . . هذه هى القيمة الوحيدة فى هذه القارة السعيدة . وهى أيضاً العلاقة الإنسانية

الوحيدة فيها . هات وخذ . فلا غرابة إطلاقاً في أن يستقيل عامل من عمله لأنه وجد عملاً آخر يمنحه دولاراً واحداً زيادة . . العمل غير ثابت والعامل غير ثابت والوجوه تتغير كل يوم وكأن المجتمع كله سوق كبيرة تنهض وتنفض كل يوم . ثم ماذا يفعلون بهذه الدولارات الكثيرة ؟ . .

إنهم يشربونها . أو يشربون بها البيرة . . والبيرة هي الشراب القومي ، أو الشراب المقدس عندهم . وعندما ينتهى العمل اليومي (والأعمال كلها تنتهى في الخامسة مساء) يهرع الجميع إلى البارات ويشربون البيرة (واقفين) حتى العاشرة مساء (وهو موعد إغلاق البارات) وهذا الموعد (المتأخر) رفاهية جديدة منحها الحكومة للشعب منذ سنوات قليلة ، وقبل ذلك كانت البارات تغلق أبوابها في السادسة مساء ، وعلى سكان القارة كلهم أن يشربوا ما يريدون في ساعة واحدة .

فكان الجميع يحرسون على الوصول في وقت واحد وكانت النتيجة دائماً هي مصرع بعض الأشخاص تحت الأقدام . ونظراً لقلّة عدد السكان بالنسبة لمساحة القارة فإن الحكومة رأت أن (تبجح) موعد الشرب حرصاً على (عدد) السكان .

هذا العدد الذى لا يكاد يتغير برغم فتح جميع الأبواب للهجرة ، ولكن ما يحدث هو أن معظم من يهاجر إلى أستراليا لا يبقى فيها بالقدر الذى يسمح له بتكوين ثروة صغيرة أو كبيرة ثم يعود إلى بلده الأصلى فلا يبقى في أستراليا إلا من لا بلد له ليعود إليه .

وحتى الآن لم تنجح أستراليا في أن تجعل (المهاجر) يحب البلد والمجتمع لدرجة تجعله يسمى نفسه أستراليا .

وزميلي (جاك) أسترالى من أصل إنجليزى ولذلك لم يفهم أبداً سر عودة المهاجرين من أستراليا إلى بلادهم . وهو يشرب البيرة كل يوم وكل وقت إذا أمكن ولكنه سكير (عاقل) فهو يشرب بنفس إفراط أبناء جلدته ثم يدخر جزءاً من مرتبه كل أسبوع ، وهو يحضر إلى العمل فى ملايس يحجل أى شحاذ فى القاهرة أن يظهر بها ، أما هدف ادخاره فهو القيام برحلة حول العالم . وقد وجدت فى رحلته المرتقبة هذه فرصتى (للكلام) فشرعت أحدثه عن بلادى وتاريخها وشمسها ومطارح الجمال التى لا تنتهى فيها ، فوجدت بذلك الموضوع الذى أملاً به اللحظات الخاطفة التى كنا نتجاور فيها .

ولم أتصور أبداً أن هذه الصداقة الجديدة كانت على حساب صداقة قديمة حتى نظرت يوماً إلى وجه (جيدو) فقرأت فيه أشياء غريبة جداً . . إنه غاضب إلى أقصى حد لأنه يتصور أن كل حديثى مع جاك إنما هو سخرية منه . وهالنى ذلك التصور الخاطئ ، وحاولت أن أشرح له الحقيقة ولكن كيف ؟ إنه لا يفهم الإنجليزية وأنا لا أفهم اليونانية ، وكلما حاولت الكلام ازداد إمعاناً فى النفور والتباعد حتى انقلب عدواً حقيقياً على غير حق .

هكذا جاء الخلاف بينى وبين (جيدو) لغوياً .

وأحزننى أن أبدو فى صورة الجاحد للجميل ، ولكن (جيدو) كان قد اقتنع بما لا يدع لديه مجالاً للشك بأننى أسخر منه ، وانطوى على الحقد والغل ، وتحولت محاولتى الحسنة النية للتفاهم إلى ما يشبه الاستجداء ، فتراجعت .

الأمر لله . هذه عداوة حمقاء مفروضة على . ولكن عدم قبولها أسوأ من قبولها ، فلاقبلها إذن .

وتصورت أن الأمر سوف ينتهى عند ذلك (القرار) ، وأن جيدو سوف يسقطنى من حسابه كما أسقطته من حسابه ، ولكن شد ما كنت مخطئاً . . .

لقد كان إعلان العداء بداية لسلسلة من المضايقات الصغيرة المتلاحقة ، وتحول جيدو إلى واحدة من (نساء حوش بردق) ولعله لو ساعدته اللغة لفرش لى الملاية حقاً ، ولكن اللغة أعجزته فوقف عند حد التلميح والغمز واللمز .

ماذا أفعل مع هذا العدو ؟

حاولت أن أفكر بطريقة عمال المخازن فلم أجد إلا الضرب والعدوان تعبيراً عن (شعورى) نحوه ، ولكن شدة توتر العدو جعلته يقرأ فى وجهى ما يعتمل فى نفسى فإذا به يذكرنى بأبنى المصرى الوحيد فى هذه المخازن أمام ٥٠٠ يونانى .

آه . . هذا طريق مسدود إذن .

ولكن إذا كان يعتمد على هذا العدد الهائل من (الحلفاء) فلماذا لم يبدأ هو بالضرب ؟ ولكنه كان يدخر لى انتقاماً (يونانياً) بعيد المدى . أخبرنى جاك أن جيدو ينوى أن يضع فى دولا ب ثيابى بعضاً من البضائع التى نعبثها على أن يتهمنى بسرقتها فيما بعد . هذا هو انتقامه إذن . . انتقام قاس رخيص لا رجولة فيه ولا شرف . ولكنه انتقام كفيل بأن يسود عيشتى فى أستراليا كلها . فهؤلاء المجانين لا يغضبهم شئ قدر السرقة التى

يعقبها الفصل غير المشرف والتي يكاد يستحيل بعدها الحصول على وظيفة أخرى .

أثبت جيدو بهذه النية أنه عدو خطير حقاً . . وكيف أتق شره ؟ وضعت كل انتباهي عليه ونسيت (الكلام) والدقائق التي كنت أختلسها من الوقت ودائرة الطباشير ولازمته كالظل ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم حتى كدت أفقد عقلي .

ثم استيقظت ذات صباح وقد اهدت إلى فكرة هائلة رأيت فيها الحل الموفق السعيد الذي يجعلني أرد كيد (جيدو) إلى نحره . قلت لنفسي إذا كان انتقام جيدو مبنياً على الوشاية (الكاذبة) في عند الرؤساء فلم لا أسبقه وأشي به أنا ؟ لن يطاوعني ضميري على وصمه بالسرقة . . ولكنني سوف أبلغ (الرؤساء) بما ينوي هو أن يفعله ضدي ، وبذلك أكون قد وضعت أولى الأمر في قلب المشكلة ولن يستطيع (جيدو) بعد ذلك أن يفعل شيئاً .

وارتحت لهذه الفكرة بعد أن قلبتها على مختلف الوجوه ، ولم أجد فيها عيباً واحداً . هكذا لم أكد ألمح (الرئيس) بالقرب مني حتى تقدمت منه وحكيت له في بلاغة ووضوح كل ما حدث بيني وبين (جيدو) ثم توجهت قسيتي بأن أشهدت ذلك الرئيس على ما قد يفعله (جيدو) .

فماذا كان رد (الرئيس) ؟ بدون أدنى اهتمام بقصتي المؤثرة رد على بأن الشركة تمنحني راتباً في مقابل ثماني ساعات من العمل المتواصل ، فليس من حق أن أضيع الوقت (الذي لا أملكه) في علاقات شخصية مكانها الحقيقي هو الشارع . .

كان ردًا باردًا قاسياً لم أتوقعه ، وقد ذهلت لحظة ، ولكنني قلت لنفسى إن ذلك (الرئيس) قد عرف بما ينويه جيدو وإننى أستطيع أن أستشهد به إذا وقعت الواقعة .

عدت إلى مكائى (نصف) منتصر ، ونظرت إلى جيدو لأضع فى ذهنه حقيقة ما قلته ، ولكنه لم يفهم ، فسألنى ماذا كنت أقول للرئيس فأجبت بهدوء وبطء لأجعل الكلام يتسرب إلى ذهنه . واستمع إلى جيدو فى هدوء وبلادة وفى النهاية هز رأسه وانصرف عنى إلى صناديق البضائع .

وعجبت لعدم تأثره أو اضطرابه ، ولكنني أقبلت على العمل فى نشاط وأنا أوكد لنفسى أننى انتصرت ودفعت عن نفسى شبح التهمة المخيفة المستقبلية . فما أكاد أطمئن حتى أتذكر هزة رأس جيدو الأخيرة فيتبدد اطمئنائى . ترى هل يستطيع جيدو أن يفعل شيئاً آخر ؟ هل يستطيع حتى أن يدافع عن نفسه ؟ المفروض أننى اتهمته وأنه الجانى وأننى المجنى عليه ، فهل أرى قريباً ما يشئ غليلي فيه ؟ أو على الأقل هل أضمن أنه سينصرف عن نيته البشعة ؟ ولكن هل كنت أكره جيدو حقاً ؟ أبداً لم أنس إطلاقاً بشاشته معى فى الأيام الأولى ومحاولاته الكريمة لتبسيط الأمور أمامى . إنه وأنا ضحايا (اللغة) وأنا أفهم موقفه تماماً وأتعاطف معه ، ولكن كان لابد أن أدافع عن نفسى . وقد دافعت وبقى أن أجنى ثمار انتصارى .

ولم يطل انتظارى لهذه الثمار . فى الصباح التالى جنيها . ما كاد اليوم يبدأ حتى جاء (الرئيس) الذى شكوت له جيدو . . جاء مسرعاً كعادته ثم اختارنى ومعى ثلاثة آخرون وكلفنا بأن نتسلم العمل فى مخزن الخشب .

لم أعرف أترقية كان هذا النقل أم عقوبة ، ولكن ما قرأته في أعين جيرانى من الاستنكار والهلج جعلنى أعرف أننى إنما أجنى ثمار انتصار جيدو لا انتصارى ، وأن هذا النقل عقوبة .

سرنا وراء (الرئيس) حتى وصلنا إلى أقصى المخازن ، ودخلنا حجرة صغيرة من الخشب ذات سقف واطئ لا يستطيع الإنسان أن يسير تحته إلا منحنيًا . وفى الحجرة وجدنا صناديق كبيرة من الخشب وجرارات من الحديد وأشياء لا يمكن أن توجد إلا فى سجون المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة .

ما هو عملنا هنا ؟ أن ننتزع المسامير من صناديق الخشب وأن نفتح الصناديق الكبيرة ونعبي فيها الصناديق الكارتونية ثم نغلق الصناديق الخشبية ونغمسها ونحملها فى الجرار الحديدى عبر طريق مرتفع يخرج بها إلى الشارع وهكذا طول اليوم . ولقد كنت أشكو قديماً من عملى ومن (جوار) جيدو ، ولكن هذه الزنزانة الجديدة كانت شيئاً أبعد من كل خيال . .

كان الجو حاراً جداً حيث كانت القارة تتعرض لموجة حارة ، وكانت الزنزانة الخشبية حارة فى حد ذاتها ، ولكن الجو الحار أحالها إلى فرن ملتهب ، فخلعت ثيابى حتى أصبحت نصف عار ، وبدأت أجتهد فى العمل الجديد الغريب . ولم تمض ساعة حتى أيقنت أن الأمر كله مهزلة وأننى لن أستطيع البقاء فى هذه الزنزانة ساعة أخرى ، فقد تكسرت أصابعى تحت دقات الشاكوش الخاطئة ، وتمزقت ثيابى ، وجرحت رجلاى لسقوط صناديق الخشب فوقها أكثر من مرة ، وأسال الحر والتعب عرقى على جسمى حتى صرت كقطعة من الإسفنج المغموس فى ماء يغلى .

وما كادت الصفارة تعلن موعد الغداء حتى هرعت إلى الخارج بدون

ثياب هرباً من ذلك الأتون ، وجلست في الهواء معرضاً جسمي كله للهواء ، وبعد الغداء عدت إلى الزنزانة وقد جف عرقى نوعاً وبدأت العمل البغيض ، وانحنيت فوق صندوق خشبي وفي يدي الشاكوش لأنترع المسامير منه ، وانترعت أول مسمار وأردت أن أعتدل في وقفتي وإذا بلسان من النار يندلع في ظهري ، وصرخت من الألم ، وتصلبت في وقفتي وأنا عاجز عن الاعتدال وعن الانحناء وعن الحركة في أى اتجاه . لقد أصبت بانزلاق غضروفي ، وأحسست بالآلام لا تطاق في ظهري وفي جسمي كله . واستنجدت بأقرب الواقفين معي فحضر ومعه آخرون وبعض الرؤساء واقتادوني إلى حجرة الطبيب (وهو طبيب وعامل في نفس الوقت) واستخرج لي الطبيب صورة أشعة في الحال قرر على أثرها أن ألزم الفراش لمدة أربعة أيام أبدأ بعدها العلاج (الذي حدده لي) على حساب الشركة ، فعدت إلى البيت ، وكانت أول إجازة طويلة أقضيها في البيت منذ وصلت إلى أستراليا ، ولكنها لم تكن ما يمكن أن يوصف بأنه إجازة مثالية .



❁ جريمة المحطة ❁

كانت هذه الحادثة فاصلاً بين عهدين من حياتي في أستراليا .
كان قد مضى على وجودي في ملبورن ستة أسابيع ، وفي هذه الأسابيع
لم أفعل شيئاً سوى تعبئة البضائع والعمل بجهد في المخازن والجرى من المخازن
إلى الأتوبيس إلى البيت إلى الفراش ثم إلى الأتوبيس فإلى المخازن من
جديد .

لم أجد دقيقة فراغ واحدة أفكر فيها في شيء ، كل ما كان يهمني هو
أن أضمن بقائي في المخازن . وبالتالي أضمن تسلم مرتبي كل خميس .
هذا المرتب الذي دفعت منه ديوني وانتقلت به إلى منزل جديد ، أكثر هدوءاً
وجملاً ونظافة ، وتمكنت من ادخار مبلغ معقول وضعته في البنك . ولكني
لم أفكر في المستقبل . كنت دائراً مع الدولار راضياً به وبالضمان المادي
الذي كان يزداد مع مرور الأيام .

وأما في يومي الإجازة (السبت والأحد) فإنني كنت أعمل بنشاط
يبتلع اليومين في شراء مؤونة الأسبوع التالي وفي غسل ثيابي وكى قمصاني
وتجهيز الأكل للأيام الخمسة التالية .

ثم جاءت هذه الحادثة فمنحتني إجازة (بأجر) . . إجازة أقضيها

فى البيت مطمئناً إلى أن راتبى مستمر . وقد وضعت مرتبة السرير على الأرض كما أمرنى الدكتور وتمددت على المرتبة وقضيت الوقت متألماً عاجزاً عن الحركة حزناً لما حدث ، مرعوباً من المستقبل مستعرضاً فى الوقت نفسه موقفى فى وضوح وجلاء . .

قلت لنفسى لم أعد بعد المهاجر الضال الخائف . لقد حصلت على عمل وعرفت شيئاً عن الناس والأعمال والحياة . لم أعد مجيراً على شىء ، أستطيع أن أستقبل وأبقى فى البيت شهراً كاملاً ، أنفق من مدخراتى دون خوف من شىء فلاأضع هذه الحقيقة فى ذهنى طول الوقت فلأنها تمنحنى الشجاعة والثقة ، ولأبدأ التفكير إذن .

بدأت التفكير ووصلت إلى أن أول ما يجب أن أفعله هو أن أترك هذه الوظيفة التى لا تناسبنى على الإطلاق . سوف أستمّر فيها حتى يتم شفائى وسوف أستفيد من الإجازة الإجبارية فى البحث عن وظيفة مناسبة .

أما القرار الثانى الذى وصلت إليه فى تفكيرى . فهو أنى يجب أن أبدأ حياتى كفنّان فى أستراليا . وحددت أحلامى فى تكوين فرقة مسرحية عربية تقدم مسرحيات عربية لجمهور الجاليات العربية . ولكن كيف أبدأ ؟ إذا كان تكوين فرقة مسرحية فى القاهرة شيئاً صعباً فإنه فى أستراليا يكاد يكون مستحيلاً ، أو على الأقل مستحيل بالنسبة لمريض طريح الفراش لا يعرف أحداً ولا يعرفه أحد . لم أكن أعرف فى ذلك الوقت إلا الصديقين (فهمى حافظ) و (رشدى حنا) وهما لا يعرفان أى شىء عن المسرح .

ومع ذلك لابد من البدء ، ولا بد من الوصول إلى وظيفة مناسبة ومعها فرقة مسرحية عربية .

أما عن الوظيفة فإنني كنت أقرأ جميع الإعلانات التي تنشرها الجرائد (والجرائد تعلن يوميا عن آلاف الوظائف في كل ما يخطر وما لا يخطر بالبال). وكنت أتصفح الإعلانات وأبحث عما يناسبني. لم أشأ أن أتعرض هذه المرة لما تعرضت له في المخازن.

وجدت عشرات الوظائف، وكتبت عشرات الطلبات، وجاءتني عشرات الردود. لم يحدث أن أرسلت خطابا لم ألتق عليه رداً. وهذا فضل أخلاقي أسجله لأصحاب الأعمال في أستراليا دون أي تحفظ، فهم يحترمون أي خطاب يصل إليهم، ومن المستحيل ألا يردوا عليه بالرفض أو بالقبول.

ويشاركهم في هذه الفضيلة مصلحة البريد. فالعمل فيها منتظم بشكل رائع، من المستحيل أن يتأخر خطاب أو يضيع. بل إنك تستطيع أن تتحكم في موعد تسليم خطابك، فتضعه في صندوق البريد الخاص (ببريد اليوم) أو الصندوق الخاص ببريد (الغد). وتستطيع أن ترسل ما تشاء في الخطابات. ساعة أو مفاتيح أو مجوهرات، وأنت مطمئن أن شيئاً لن يضيع.

البريد في أستراليا شيء مثالي. حلم رائع من أحلام المدينة الحديثة. هكذا امتلأ مكنتي بالخطابات والردود. وكان الرفض هو القاسم المشترك في معظم الردود التي تلقيتها. وكانت هناك مفاجآت طريفة في بعض الوظائف التي تقدمت إليها مثل وظيفة (مدير المسرح) في مستشفى صاحبة الجلالة التي اتضح أن عمل مدير المسرح فيها هو أن يقف مع الطبيب أثناء إجراء العمليات الجراحية لينقل القطن وقطع اللحم البشرية والضمادات

وما إلى ذلك .

ومثل وظيفة (مدير الأسماك) الذى اتضح أن عمله هو أن يقف بجوار الصيادين يفرز الأسماك حسب الأحجام .
ولكنى لم أياس وتابعت القراءة والكتابة والأمل والانتظار . وأخيراً جاءنى خطاب يطلب منى مقابلة (مسز درو) فى الثانية و ٣٥ دقيقة من ظهر أحد الأيام ، كانت الوظيفة هذه المرة هى وظيفة (رسام إعلانات) . وفى اليوم المحدد حملت معى عينات من رسومى وذهبت إلى العنوان الذى حدده الخطاب .
ذهبت قبل الموعد بوقت طويل . فقد علمتنى أستراليا تقديس المواعيد ، وفى هذه الأيام كنت أسير بصعوبة بالغة وأترنح يساراً ويميناً بسبب الانزلاق الفضروى . وكنت أخشى أن يؤثر مظهرى على أملى فى الوظيفة خصوصاً أننى قد عرفت أن أصحاب الأعمال يراعون الصحة والقوة بجانب المواهب والخبرات ، وربما قبل المواهب والخبرات . ولكنى كنت أعتمد على بذلتى السوداء الأنيقة وعلى قدرتى فى التمثيل والظهور بمظهر الشاب السعيد السليم حتى أخفى عجزى الموقت .

سألت عن مكتب (مسز درو) ووصلت إليه . وفى الدقيقة المحددة كنت أطرق الباب وأفتح به بعد أن سمعت كلمة : تفضل . فتحت الباب ولكنى لم أدخل بل ابتسمت ابتسامة عريضة أشغل بها انتباه (مسز درو) عن حركاتى العاجزة . ثم فى قفزة واحدة كنت قد جلست فى الكرسي الذى أشارت إليه . . قد تظننى مجنوناً ولكن ذلك خير من أن تظننى مريضاً . ونجحت الخطة ولم تر (مسز درو) منى إلا جسمى الطويل العريض وابتسامتى المشرقة .

أما (مسزدرو) فقد وجدتْها امرأة في الحلقة الخامسة من عمرها ، جميلة أنيقة كأنها ممثلة سينما ، هادئة كأنها صديقة قديمة . ودار بيننا حوار لطيف لم أشعر معه بأنه امتحان إلا عندما أخبرتني في النهاية أنها قد أعجبت بي ، وبعملي الفني . وأنها ترشحنى للوظيفة المطلوبة .

ثم حددت لي مواصفات الوظيفة . فقالت إنها وظيفة ذات مستقبل باهر وإن عدداً كبيراً قد تقدم للوظيفة وقابل مسز درو (ولكنها شخصياً تفضلني أنا .) . ليه ؟ . ما تفهمش . أما المرتب فهو (٧٠ دولاراً) في الأسبوع (بزيادة ٢٥ دولاراً عن مرتبي في المخازن) وفي يوم الجمعة من حق أن أخرج في الثالثة ظهراً بدلاً من الخامسة لأذهب إلى السوق وأشتري طلبات الأسبوع . هذه لفتة إنسانية كريمة .

كل شيء على ما يرام إذن . وهل العمل في هذا المبنى ؟ لا . إن (مسزدرو) ليست موظفة في الشركة . إنها صاحبة مكتب استخدام (مكتب عمل خاص) وأصحاب الأعمال يعلنون عن الوظائف الخالية في شركاتهم ثم يطلبون منها أن تتمحن المتقدمين نظير أجرة . وإذن أين الشركة التي سأعمل بها ؟ . . .

إنها خارج ملبورن . وسوف تكتب لي (مسزدرو) خطاباً لأذهب به إلى الشركة حتى لا تضيع منى الوظيفة . وقبل الخطاب رفعت سماعة التليفون وطلبت صاحب الشركة وحدته عنى حديثاً مستفيضاً ، ثم وضعت السماعة وغمزت لي بعينها دلالة على أن كل شيء على ما يرام .

ثم كتبت الخطاب بنفسها على ما كينة الكتابة الموجودة بجانبها ووضعت في ظرف أنيق عليه عنوان الشركة وأوصتني بأن أطيّر إلى الشركة ثم ودعتني

بابتسامة جميلة والتمنيات الطيبة .

خرجت إلى الشارع وفي يدي الخطاب الثمين وطرحت جانباً فكرة الرجوع إلى البيت لتناول الغداء وأسرت إلى محطة (فلندر) وقطعت تذكرة ذهاباً وإياباً إلى الضاحية المطلوبة (وهالتي ثمن التذكرة) واستنتجت أنها بعيدة جداً . ولكنني تذكرت أن (مسز درو) أخبرتني بأنني سأجد صاحب الشركة في انتظاري .

ركبت القطار الذي ظل (يرقع) بي ساعة ونصف ساعة حتى وصلت إلى المحطة المنشودة وقد أوشكت الشمس أن تغيب .

كنت الوحيد الذي هبط إلى هذه المحطة ونظرت فلم أجد أحداً ولا شيئاً . وجدت نفسي في صحراء قاحلة ليس فيها أي مبان ولا أي دليل على العمران ولا على وجود صاحب العمل ولا غيره . ماذا أفعل ؟ هل أستطيع أن أصل إلى الشركة بمفردي ؟ هل تظل الحيرة تقابلني طوال أيامي في أستراليا ؟ وكيف أبحث عن مكان الشركة ؟ هل أستطيع المشي والبحث في هذه الصحراء وأنا الذي أتنقل في منزلي بصعوبة ؟ ولكنني قلت : لن أراجع . هذه وظيفة عظيمة جديرة بالتعب ، ولعل تغيب صاحب العمل نوع من الامتحان لقدرك ونشاطي فليمنحني الله القوة على الوصول إلى مكانها .

اخترت اليمين انجهاً وسرت بجوار شريط القطار (حتى لا أتوه) في اتجاه مضاد لاتجاه القطار . لم يكن الطريق ممهداً بل كان مليئاً بالتراب والصخور ولا تبدو له نهاية ، وقد أقبل المغيب ينشر ظلامه على الكون ، وبدأت الرياح الباردة تصفر وأنا أترنح في سيرى كالسكير دون أن أعلم

هل أسير في الاتجاه الصحيح أم لا . ثم سرت حوالى (٢ كيلو) وأنا لا أبتعد عن شريط القطار . وأخيراً لاحت لى دلائل العمران . وجدت مبنى ينبعث الدخان من مدخنته وقرأت على الباب لافتة عرفت منها أن هذا المكان مدرسة .

دفعت الباب ودخلت بأمل أن أجد أحداً أسأله عن مكان الشركة . وفى الداخل وجدت سيدة ويدها مكنسة وهى تكنس وتصفّر فأريتها الظرف وعليه العنوان فهزت رأسها قليلا ثم قالت إننى أسير فى الاتجاه الصحيح ، ولكن المكان ما يزال بعيداً بعض الشيء .

خرجت من المدرسة وأنا لا أقدر على جر جسمى من التعب ، وقد علائى التراب والغبار ، ثم واصلت السير حتى وصلت إلى الشركة ، وعند ذلك وقفت مذهولا وقد انتابنى ضحك عصبي تغلبت عليه بصعوبة شديدة . .

هل هذه هى الشركة التى حفيت حتى وصلت إليها ؟ كانت الشركة ذات المستقبل الباهر مبنى صغيراً حقيراً من الصباح لا يزيد حجمها كله عن حجم حجرة صغيرة .

هل أعود من حيث أتيت ؟ . . إن شركة حقيرة كهذه جديرة بأن تمتص دمي حتى الثمالة فى مقابل كل دولار تدفعه لى . ومن ناحية أخرى بفرض أننى اشتغلت فيها فكيف أصل إليها كل صباح ؟ هل أسير هذه المسافة المخيفة كل صباح ؟ هكذا رفضت الوظيفة المأمولة بينى وبين نفسى ، ولكنى طرقت الباب بأمل أن يعيدنى صاحب الشركة - على الأقل - بالسيارة إلى محطة القطار .

رد على صوت من الداخل قائلاً : ادخل . دخلت فلم أجد أحداً

ولم أجد شيئاً . وجدت حجرة ضيقة باردة شبه مظلمة عارية إلا من بعض الصور الملقاة هنا وهناك كأنها مكان مهجور أين إذن من رد على ؟ .
وقفت في مكاني في انتظار ظهور صاحب الصوت . وأخيراً ظهر من شق في الحائط كأنه عفريت . . كان رجلاً من الصعب تحديد عمره ، بيده فرشاة ألوان وثيابه مغطاة بالألوان كأنه مهرج في سيرك . سألتني عما إذا كنت الموظف الجديد الذي كلمته عنه (مسزdro) فأجبت بالإيجاب ، وعند ذلك صبحني إلى فراغ ميكروسكوبي بجوار الباب عليه لافتة مضحكة تقول . الإدارة . هذه الإدارة التي لم أجد فيها إلا منضدة خشبية رخيصة وكرسياً واحداً تهالكت عليه منتهزاً هذه الفرصة للراحة بعد الهلاك الذي تعرضت له في الطريق .

قرأ الرجل خطاب (مسزdro) ثم وضعه على المنضدة وبدأ حديثه بالاعتذار عن عدم انتظاره لي على المحطة لانشغاله بعمل مفاجئ . لم أهتم باعتذاره بل لم أهتم به ولم أتابع حديثه ، بل جعلت أنظر إليه وأنا أشعر برغبة شديدة في أن أخنقه لغروره وتصوره أن هذه الحقارة (الصاج) شركة يعلن أحد من أجلها عن طلب موظفين ويتعب معه أولاد الناس من المهاجرين .

كان كل ما يهمني منه هو أن يعيدني إلى المحطة بالسيارة فإنه من المستحيل أن أعود هذه المسافة على قدمي . ولعله كان يجب أن أخفي ما يدور في نفسي - على الأقل حتى أحظى بهذه المنحة - ولكنني لم أستطع أن أخفي استخفاي به وبشركته ذات المستقبل الباهر ، فسألته عما إذا كان (المشي) هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى مقر الشركة ؟ فأجابني بأنني أستطيع شراء

عربة (منعت نفسي بصعوبة من أن أسأل : على إيه ؟) وأجبتته بأننى لست على استعداد لشراء عربة فى الوقت الحاضر لأننى أجهل القيادة ، وعند ذلك عرض على أن أسكن فى هذه القرية لأكون قريباً من العمل . ولكنى رفضت هذا العرض السخيف وأخبرته بأننى لا أستطيع أن أترك ملبورن . (كأنها بلد أبويا !!) .

هكذا ملأ النفور والجفاء لقاءنا الأول والأخير ، وخفت أن يداهمنى النوم وأنا فوق هذا الكرسي . فاستأذنت فودعنى إلى الباب ولم يعرض أن يصحبنى بالسيارة ، بل تركنى ودخل وأغلق الباب الصاج خلفه .

وجدتنى مرة أخرى فى العراء والظلام والبرد والتراب والرياح ، ثم فوجئت بالمطر مصاحباً لسيمفونية « القرف » هذه . تهتدت ورفعت ياقة الجاكتة وأخفيت صورى داخل القميص حتى لا تبتل . ثم بدأت مشوار العودة . لم أعد من الطريق الذى أتيت منه لأننى استنتجت أن المسافة الباقية على المحطة السابقة لابد أنها أقصر كثيراً من المسافة الأولى .

هكذا سرت إلى الأمام ، وكان هذا أسوأ قرار اتخذته فى ذلك اليوم الغريب . . اتضح لى أن استنتاجى خاطئ وأن المسافة الباقية هى (ضعف) المسافة السابقة واتضح لى (أيضاً) أنه لا يوجد طريق على الإطلاق للوصول إلى المحطة . .

وجدت نفسي أتسلق تلالاً وأهبط أودية وأرى شريط القطار أحياناً تحنى بمسافة طويلة . وأحياناً أخرى أراه فى السماء وأنا على السفح . وكان المطر قد ازداد ونفذ من ثيابى إلى جسمى وأغرق رسومي ، وأخذ الهواء يعصف بى ويقتلعنى من مكائى ، ومن بعيد كانت تتردد أصدااء صيحات الحيوانات

الغريبة (دعوت الله ألا تكون ذئاباً) وازدادت آلام ظهري حتى كدت أقع على الأرض ، وأخيراً وصلت إلى محطة القطار ، وكانت مرتفعة قليلاً عن الطريق العادى ، فصعدت إليها فوجدت بوابة خشبية صغيرة مفتوحة فدخلت منها ، ووقفت فى انتظار القطار . ثم جاء القطار وهممت بالتوجه إليه ولكنى تراجعته لقد انتبهت إلى أننى لا أعرف الاتجاه إلى ملبورن . لقد أفقدنى كل ما مرنى القدرة على إدراك الاتجاه الذى أسير فيه فلم أعد أعرف أقام هذا القطار من ملبورن أم متجه إليها .

وجدت شخصاً بجانبى فسألته وعرفت منه أن هذا القطار قادم من ملبورن أما القطار المتجه إلى ملبورن فهو يقف على الرصيف المقابل . سألتها عما إذا كنت أستطيع أن أهبط من الرصيف المرتفع إلى فراغ القضبان ثم إلى الرصيف المقابل أم أن الأفضل أن أخرج من المحطة كلها وأدور نصف دورة خارج المحطة فأجابتني بأن هذا هو الأفضل .

وقد يبدو سؤالى ساذجاً لا هدف له ، ولكنى تعلمت أن فى أستراليا قوانين غريبة لتنظيم أمور قد لا نراها نحن محتاجة إلى تنظيم . من ذلك مثلاً القانون الذى ينظم المرور ، فالذى يخطئ فى المرور يدفع غرامة (١٠ دولارات) فوراً لجندي المرور . والذى يركب بدون تذكرة يدفع غرامة (٥ دولارات) للكمسارى بدون كلام أو حديث . وأشياء كثيرة مثل هذه علمتني أن أحتاط فى كل خطواتي حتى لا أتعرض لمخالفة القوانين متذكراً المثل القائل : (إن كنت فى روما فتصرف كما يتصرف الرومان) .

غادرت الرصيف واتجهت إلى البوابة الخشبية التى دخلت منها ، ورأيت أنها ليست مفتوحة كما كانت منذ دقائق ، بل وجدتها مربوطة بدوابة

صغيرة فتصورت أن طفلاً عابثاً ربط هذه الدوبارة (ولو أنني لم أر أطفالاً في المحطة) نزعت الدوبارة وفتحت البوابة وخرجت إلى الشارع. فيها حاجة دى ؟

ومع ذلك قامت القيامة وفوجئت بهرج ومرج وبصيحات غضب واستنكار تملأ المحطة كلها ، ولم أتصور أن هذا كله له علاقة بى ، فتابعت سيرى وإذا بى أفاجأ بشابين يجريان خلخلى ثم يسبقاننى ويعترضان طريقى ويأمراننى بالوقوف فى غضب شديد . . وقفت وعند ذلك رأيت ما غابت عنى ملاحظته من قبل . كان ركاب القطار قد تجمهروا حولى ينظرون إلى فى فضول وذعر ، بعضهم يتحدث ويشير إلى ، وبعض الفتيات قد انتحين جانباً قصياً وهن ينظرن إلى ويتكلمن فى هستيرية شديدة .
يا ساتريارب ؟ ماذا حدث ؟

أفقت على صياح الشابين اللذين أمرانى بالوقوف ، وهما يأمراننى بالعودة معهما . سألتهما عن السبب ، ولكنهما كررا أمرهما لى وهما ينظران إلى نظرات مستريية كأنما يتوقعان أن أخرج من جيوبى مدفعاً أو قنبلة أو ثعباناً . . كررت سؤالى إياهما ! فأجاب أحدهما بأننى لا أستطيع أن أنكر أننى فتحت البوابة الخشبية . أليس كذلك ؟ فأجبت بأننى فتحت البوابة وأننى لا أنكر ذلك ولكن ماذا فى ذلك ؟ ولكنهما اقتربا منى وهما مازالا ينظران إلى فى خوف وتوحس وأمرانى بأن أسير معهما بالتى هى أحسن .

سرت معهما تتابعنى نظرات الجمهور وصيحاته وتعليقاته العدائية حتى وصلنا إلى مكتب ناظر المحطة ، فوجدت الناظر ينتظر وهو فى أشد حالات الغيظ والسخط ، وبجانبه موظف شاب يحمل فى يده قضيباً حديدياً يلوح

به نحوى كأنما ليحذرني بأنه سيهوى به علىّ عند أول حركة عدائية تبدر مني ، كالعص مثلاً أو الخربشة . .

أمرني الناظر بالجلوس وعدم الالتجاء إلى العنف (إذا كنت عاقلاً) . واجتمع الأربعة حولي وهم يتصايحون وأنا لا أفهم شيئاً من كلامهم . وفي النهاية اتفقوا على أمر . فقدم لي الناظر استمارة مطبوعة طلب مني أن أجيب عما فيها من أسئلة .

أخذت الاستمارة وقرأت أول سؤال فيها وإذا هو : لماذا ارتكبت هذه الجريمة ؟ . .

جريمة ؟ أنا ارتكبت جريمة ؟ ما هي جريمتي ؟ سألت الناظر (وقد هدأ قليلاً) فأجابني بأنني اعتديت على أملاك (الكومون ويلث) ! ! قال إنني فتحت البوابة فسمحت لركاب القطار بدخول المدينة دون تسليم تذاكرهم فالقطار في أستراليا ليس فيه كمسارى ، وإنما كل راكب يسلم تذكرته عند دخول مدينته .

كانت الدوابة المربوطة في البوابة إذن دوابة (رسمية) والذي وضعها هو واحد من هؤلاء الموظفين المجانين وليس طفلاً عابثاً كما تصورت .

كانت محاولتي (النبيلة) لاحترام النظام هي التي قادتنى لارتكاب هذه الجريمة ، لغاية كده كويس . والعقوبة ؟

غرامة لا تقل عن (٢٠٠ دولار) أو السجن لمدة لا تقل عن سنة ! ! حاولت أن أتذكر أنا اصطبحت بوجه من فلم أستطع ، وقرأت في وجه الناظر أنه من الأسهل على أن أقنعه بأن الأرض ليست كروية من أن أقنعه ببراءتي وحسن نيتي . .

واستحثني الناظر على الإجابة ، فبدأت أجيب . ولاحظت وجود أسئلة عن السوابق الإجرامية وعن أشياء أخرى لو تحققت لكنت واحداً من رجال العصابات .

ولاحظت أيضاً شيئاً طريفاً في سلوك الناظر وأعوانه . ذلك عندما أجبت عن الأسئلة الخاصة باسمي وعنواني فلم يطلب واحد منهم مني إثباتاً لصدق ما أقول . لماذا ؟ . لأنهم لا يتصورون أنني أكذب . لأنهم لا يعرفون الكذب في الحقيقة . فأنا قد أكون في نظرهم مجرماً خطيراً . ولكن من المستحيل أن أكون كاذباً .

وتعمدت في إجابتي أن أوضح تاريخ دخولي إلى أستراليا آملاً أن شخصاً (عاقلاً) سوف يقرأ هذه الإجابة ويرحمني من نتائج (جريمتي) . والظاهر أن طاعتي وامثالى وجدا طريقهما إلى قلب الناظر وأعوانه فكفوا عن تهديدهم ، وتمالكوا روعهم ، وانصرف بعضهم إلى عمله حتى انتهت من الإجابة . ثم سلمت الاستمارة إلى الناظر ، وسألته عن نتيجتها ، فأجابني بأنها سوف تأخذ طريقها إلى (محكمة أمن الدولة) حيث يحدد القاضي جلسة لسماع دفاعي ، فإذا كان المحامي الذي سوف أوكله بارعاً كانت العقوبة (غرامة ٢٠٠ دولار) وإلا فالسجن . .

ما شاء الله . . خرجت إلى الرصيف وأنا لا أكاد أرى ما أمامي حزناً وتعباً وغيظاً وسرت على الرصيف وماء المطر يتقاطر من ثيابي حتى جاء القطار - أخيراً - وركبته ووصلت إلى (محطة فلندر) في ملبورن .

كانت هذه المفاجأة الأخيرة قد عصفت بكل أمل لي في أي شيء وخرجت من القطار وأنا في حالة من اليأس الأعْمى جعلتني أفقد الشعور بكل

شيء إلا الشعور المؤلم بالمستقبل المظلم .

عند باب الخروج وجدت كمساريين يقفان بجوار الباب أحدهما متقدم في السن والثاني شاب . تقدمت إلى العجوز وحكيت له قصتي آملاً أن يهديني إلى شيء وسط ما يحيط بي من ظلام . ولاحظت في أثناء حديثي أن الكمساري الشاب كان يصغى إلى كلامي دون أن يتدخل وفي النهاية هز العجوز رأسه وأكد ما قاله لي ناظر المحطة من قبل .

خرجت من باب المحطة وأنا أنتزع خطواتي انتزاعاً ، وعند ذلك فوجئت بشخص يجذبني من يدي لأتوقف . كان الكمساري الشاب الذي سمع قصتي وأنا أقصها على زميله العجوز . سألتني في بشاشة حلوة : إيطالي ؟ قلت : مصري قال : أنا إيطالي واسمى (توني) صافحته وقال لي : لقد سمعت قصتك كلها ، وأحب أن أقول لك ألا تهتم بها لأنها كلام فارغ ، ولن يحدث لك شيء .

حدقت فيه غير مصدق ، ولكنه قال : نحن الأجانب يجب أن يساعد (بعضنا بعضاً) . صدقت على كلامه من أعماق قلبي . وعند ذلك قال لي : عندما يأتيك خطاب المحكمة احضره إلى وسوف أساعدك . ثم ذكر لي مواعيد عمله بدقة وأكد على بضرورة الحضور بمجرد تسلمي الخطاب. وهل كنت بحاجة إلى هذا التأكيد ؟ وفي النهاية طلب مني أن أعود إلى منزلي مبتسماً ، فالمسألة كلها لا تستحق الحزن . ماذا كنت أستطيع أن أقول أمام ذلك الوجه الباسم والقلب الكبير ؟ شكرته وسرت بروح جديدة حتى وصلت إلى محطة الأتوبيس ، وما كدت أقف حتى فوجئت (توني) يجري خلفي ويخبرني بأنه فكر في خطة جديدة ؟

قال لى : لا داعى لأن تنتظر الخطاب . أعطى عنوانك لأن الخطاب سوف يمر من هنا وسوف أترقبه وأتسلمه وأمزقه . . هل هذا ممكن ؟ ممكن جداً أعطيته عنوانى وعبرت له عن امتنانى ، وجاء الأتوبيس ، فركبت ووصلت إلى البيت .

كان أول ما فعلته هو أن خلعت ثيابى المبتلة ولبست بيجامة ثم قصدت إلى المطبخ وأخرجت دجاجة من الثلاجة ووضعتها فى ماء مغلى على النار . وفى الفرن وضعت (برام رز معمر) . وما هى إلا لحظات حتى كنت أجلس فى المطبخ الدافئ وأمامى دجاجة سمينة ورز معمر وحساء دسم وطبق تفاح .

شيئاً فشيئاً تناسيت متاعب اليوم ومفاجآته الغريبة وآلام ظهري وجسمى ونفسى ، وجعلت أمصمص عظام الدجاجة وأنا أفكر فى الغد ومايأتى به . لم يصلنى خطاب المحكمة قط . أما (تونى) فقد ذهبت إليه ألف مرة بعد ذلك لأشكره ولكنى لم أجده . ولم أستطع الاهتمام إلى مكانه قط . حتى إننى كنت أشك فى بعض الأحيان أنه كان شخصاً حقيقياً . ولم أحزن على شيء قدر حزنى لأننى لم أقابله بعد ذلك . ولكنى لا أعتقد أنه تذكر شيئاً فيما بعد ، أو أنه انتظر شكراً ، فإن صاحب قلب نبيل مثله إنما يفعل الخير دون أن ينتظر الشكر . بل ربما دون أن يعرف أنه يصنع الخير .

واصلت البحث عن وظيفة مناسبة ، وفى النهاية فقدت الأمل فى الوظيفة (المناسبة) ، فبدأت أبحث عن وظيفة تكون (أحسن شوية) من عملى فى المخازن ، فنجحت فى الحصول على وظيفة (ضابط بريد) . وهى الوظيفة التى وجدتتها وفقدتها فى ثانى يوم وصلت فيه إلى ملبورن . واتفقت مع موظف

(شئون العاملين) على أن أبدأ عملي الجديد بعد أسبوعين (وهي المدة التي رأيتها كافية لكي أقف على أقدامى بشكل معقول . ثم لكي أستقيل من المخازن) وكنت في نفس الوقت أذهب يومياً إلى طبيب المخازن حيث كنت أجلس وأعرض موضع الانزلاق الغضروفي لشعاع كهربائي لمدة دقائق . الطريف أن الممرضة هي التي كانت تبدأ بتشغيل ذلك الجهاز ثم تطلب مني أن أغلقه عندما أسمع الجرس (وهو موعد انتهاء المدة) .

انتهت مدة العلاج (القانونية) ، وعدت إلى المخازن . وقد حرصت على أن أقدم استقالتى في نفس اليوم ، فالنظام يقضى بأن العامل المستقيل يقضى أسبوعاً في عمله بعد تقديم استقالته حتى يتمكن أصحاب العمل من تدبير غيره .

كان أسبوعاً ناعماً ، وقد لاحظت أن استقالتى أكسبني احترام الجميع ، فالمعتاد هو الفصل وليس الاستقالة . ولم يعيدوني إلى الحجرة الخشبية المشؤمة ، فقضيت الأسبوع على مزاجي أدخن كما أشاء وأتكلم كما أشاء ، وعادت المياه إلى مجاريها بيني وبين جيلدو . ومضى الأسبوع وقبضت راتبي ومكافأتي عن مدة العمل السابقة (أجر يوم وربع عن كل شهر) ثم صافحت مستر ويزرز الذي تمنى لي مستقبلاً سعيداً وودعت المخازن إلى الأبد .

هذا عن العمل .

أما عن الفن فقد بدأت أدرس المسرح في أستراليا ، ووجدته مختلفاً كثيراً عن المسرح في بلادنا ، فهو أولاً ليس أسترالياً ، بمعنى أن ما يعرضه ليس إنتاجاً أسترالياً . إنه مسرح تجارى لا يهتم بمجتمع أستراليا ومشاكله



المسرح فى أستراليا

وتطوره . كل ما يهيمه هو (الدولار) . والدولار يأتى من السلعة الرائجة الناجحة . فكل المسرحيات (مستوردة) من أوروبا وأمريكا بعد أن تكون قد أخذت حظها من الدعاية والنجاح وتحدثت عنها صحف العالم بما (يضمن) نجاحها فى أى مكان . عند ذلك (يستوردها) أصحاب المسارح ويعرضونها كما هى على الجمهور الأسترالى . أما المؤلف الأسترالى فلن يجد من يسأل عنه فى أستراليا ، ولذلك يبعث إنتاجه إلى إنجلترا التى ترحب حقاً باستمرار بالإنتاج الجديد ، وعندها الجمهور

والوعى (وربما الهدف السياسى) لقراءة الإنتاج الأسترالى وتقديره إلى دائرة الضوء .

وأما أصحاب المواهب الأخرى فى التمثيل والرقص والغناء فإنهم (يضافون) إلى المسرحيات المستوردة توفيراً لنفقات استيراد الكومبارس ، أو يشتركون فى مسرحيات هزلية خفيفة لارتقى إلى مستوى المسرح الجاد .
يضاف إلى ذلك أيضاً مجموعة من فرق الهواة تقدم المسرحيات المحلية والعالمية على مسارح متواضعة فى الضواحي .

فالدولة فى أستراليا لا يهتمها أن يتقدم المسرح أو يتأخر . الحقيقة أنها تبدو وكأنها لا يهتمها أن يتقدم أى شىء أو يتأخر . إنها مفتوحة مثل (سوق عكاظ) لكل من يستطيع أن ينتج فى أى مجال بشرط ألا ينتظر تشجيعاً أو عطقاً أو تقديرأ من أى لون . منه للججمهور ! !

هذا عن المسرح الأسترالى ، فكان لابد من أن أنجه إلى الجالية العربية . وجدت أمامى خمسين ألف عربى بدون مسرح عربى . بدون سينما عربية . بدون جريدة أو مجلة . بدون أى شىء إلا الذكريات العميقة التى تربطهم ببلادهم .

هذا هو (الوادى) الذى قررت أن (أصرخ) فيه . . وصادف قرارى شهر مارس ، شهر الذكرى السنوية لابن مصر العظيم (سيد درويش) . كان لابد أن أحتفل بذكرى الحبيب الخالد . ولكن ما الذى كنت أستطيع أن أفعله وأنا لا أعرف أحداً ولا أملك شيئاً ولا أرى أينما وجهت وجهى مجالا للاحتفال بذكرى سيد درويش .

كان هذا هو التحدى الذى واجهنى ، وقد رجبت به . قلت :

سيد درويش هو نقطة البدء ، وسوف أبدأ بتعريف أبناء الجالية العربية بسيد درويس وفن سيد درويش .

ليس عندي مكان أحتفل فيه وليس عندي أسطوانات ولا شرائط ولكني أحفظ أغاني سيد درويش وأعرف تاريخه كأنه تاريخي الشخصي .

قصدت (الأب بولس الخوري راعي كنيسة سيدة لبنان) وهو رجل نبيل وأديب ممتاز ، وعرضت عليه أن ألقى محاضرة في ذكرى سيد درويش ، فوافق ورحب وتطوع بأن يدعو بنفسه جمهور المصلين لسماع المحاضرة بعد الصلاة . ضمنت المكان والجمهور إذن ، وكتبت المحاضرة ، ثم عكفت على

تحفيظ زميلي (فهمي حافظ ورشدي حنا) مجموعة من أغاني سيد درويش ولم يكن عندي مكان أستطيع فيه أن أجرى بروفات ، لم يكن من السهل القيام بالبروفات في منزلي لأن (روائع) سيد درويش تتحول في أسمع الأجانب إلى (شوشرة) نستحق عليها المؤاخذة . بدأنا البروفات في حديقة عامة كنا نقصدها كل مساء بعد أعمالنا ونستمر في الغناء والحفظ والتدريب حتى يوم ١٧ مارس ، فذهبت ومعى زميلاي إلى (كنيسة سيدة لبنان) وهناك وجدنا مفاجأة رائعة في انتظارنا ! ! ثلثائة عربي أحضرهم (الأب بولس الخوري) لسماع المحاضرة وللاحتفال بذكرى سيد درويش .

كانت المحاضرة شيئاً طريفاً للحاضرين ، وزادتها الأغاني طرافة ، وانتهت المحاضرة ولم ينصرف الجمهور ، بل جلسنا جميعاً في شبه ندوة نتحدث عن سيد درويش ، وعرفني الناس وعرفت أيضاً شخصيات هامة في المحيط العربي مثل (دكتور ناصح ميرزا) و (غالب نصر الدين) و (إدموند ملكي) .



ذکری « سید درویش »



ذکری « سید درویش »

فى غمرة سعادتى سألنى (دكتور ناصح ميرزا) عن مشروعاتى فى
أستراليا فقلت له إننى أنوى تكوين فرقة مسرحية لتقديم المسرح العربى ،
فضحك فىا يشبه الاستخفاف ، وقال إن هذا حلم بعيد التحقيق خصوصاً
لشخص لم يحض عليه أكثر من شهرين فى أستراليا ، والأفضل أن أنتظر
بضعة أعوام حتى أعرف البلد والناس . واستشهد فى كلامه بكفاحه هو فى
تكوين (الرابطة العربية) التى أمضى أعواماً حتى تمكن من تكوينها ،
وأشار إلى الصعوبات الجمة التى يلاقها فى سبيل تجميع المواطنين العرب
لأى سبب .

لم تعجبني إجابته ، وصممت على أن أثبت له أنني قادر على تحقيق ما
يراه مستحيلاً ، وأكدت له أنه سيرى نتيجة عملى فى خلال أشهر . وفى هذه
الليلة ولدت فى خيالى (فرقة أضواء القاهرة) ، وبدا بعد ذلك أن الظروف
كانت فى جانبي لأن وظيفتى الجديدة (ضابط بريد) كانت وظيفة
مسائية (من الثانية ظهراً إلى العاشرة مساء) فكانت تعطينى الراحة الكافية
والوقت الكافى للتخطيط والتنفيذ .



❁ أضواء القاهرة ❁

لم أنم لحظة واحدة في هذه الليلة . .

الحقيقة أنني نمت وخططت (كمان) ، ومع ذلك فإن الأقرب إلى الصدق هو أن أقول إنني لم أنم ، فإن آخر ما كان يدور في فكري وأنا أتقلب في الفراش هو ذلك التحدى الذى كنت أستعد له . وكان هو أيضاً أول ما ملأ ذهني بمجرد استيقاظي .

كان داخلي يغلي ويفور برغم شدة البرودة التي تملأ الجو . ولم يكن غليان الغيظ والعجز على أى حال . كان غليان الحماس والانفعال بما أنا مقدم على تنفيذه .

كان اليوم التالى لذكرى (سيد درويش) إجازة رسمية . وتقابلت مع (فهمي ورشدي) وأخبرتني (خلاص) كونت فرقة (أضواء القاهرة) وأننى أنوى افتتاح برنامج الفرقة بمرحبة (سيد درويش) .

وفي هذه الجلسة نفسها بدأت أوزع الأدوار ، فأعطيت (رشدي) دور (سيد درويش) و (فهمي) دور (محمود مرسى) صديق سيد درويش . ولم أعط نفسي دوراً لأنقرغ للإخراج . ولما كانت المسرحية تحتوى على (٣٠ شخصية) فقد كان الباقي هو (٢٨ ممثلاً) فقط . ! !

كيف كنت أتصور أن الفرقة ستكتمل ؟ أين باقى المشغلين ؟ الميزانية ؟
 الملابس ؟ الديكورات ؟ الموسيقى ؟
 ولكننى كنت واثقا بأنه يكفينى أن أبدأ الخطوة الأولى لكى يتم كل
 شئ . من أين واتمنى هذه الثقة ؟ على أى أساس بنيتها ؟ لا أدرى . ولكن
 إيماناً غريباً ملاً نفسى بأننى سوف أُنجح . كنت كمن يرى الغيب أو من
 يتنبأ به . .

هكذا كتبت إعلانات من تكوينين (فرقة أضواء القاهرة المسرحية)
 وأعلنت عن (ترحيبها) بكل من بهوى التمثيل والغناء . بل إننى حددت فى
 الإعلانات تاريخ افتتاح الموسم بعد شهرين من هذه البداية .
 وعلقت الإعلانات فى كل المطارح العربية مثل (البيت اللبنانى)
 و (المركز الإسلامى) و (كنيسة سيده لبنان) و (الرابطة العربية) .
 ثم بدأت البروفات فى صالة (كنيسة سيده لبنان) التى أعطانى (الأب
 بولس الخورى) تفويضاً كاملاً باستخدامها فى أى وقت أشاء .
 بدأت البروفات وليس معى إلا (فهمى و رشادى)

بعد يومين حل فى منزلى مصريان جددان : (هنرى ديموس)
 و (سمير فوزى) مهندسان شابان ينجدا قرابة و زماله فى الجامعة . وقبل أن
 يجتمعا عن عمل عرضت عليهما الانضمام إلى الفرقة فانهما إلى الفرقة .
 بقى إذن (٢١ مثلاً) وبقيت البطلانة . . . بسيدله . . . ولحق البطلانة نفسها
 هى التى بحثت عنى .

فتمتة مصرية جديده مهمه به اسمها (برناديت مهران) سمعت بالاك
 النشاط الغريب الذى يمارس فى (كنيسة سيده لبنان) فتقدمت إلى (الأب

۱۰۱



مردم دیار « سیاه درویش »

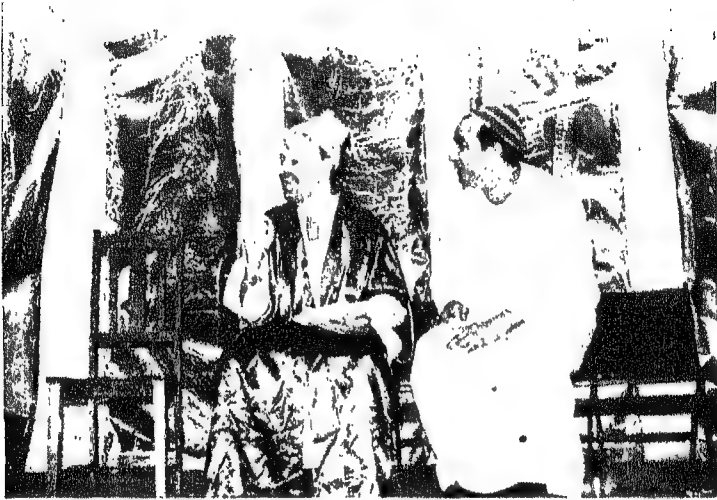
بولس الخورى) تطلب منه (مساعدتها) على انضمامها إلى الفرقة فأحالتها (الأب بولس) إلى .

كانت (برناديت) موهوبة في التمثيل والغناء والرقص وحضور البديهة والحفظ والقدرة على التعبير . كانت لقية ثمينة بكل معنى الكلمة . وبانضمام (برناديت) زالت أكبر العقبات التي واجهتني . وبعدها تقاطر الأعضاء .

جاءني ابنا العم (توفى شهلوب) و(إلياس شهلوب) . ثم جاءتني فرقة موسيقية كاملة ، القائد فيها مصرى إيطالى اسمه (ريكاردو ماتسا) وكان قد سبقني إلى أستراليا بسنوات ، ونجح في فرض اسمه ومواهبه في الإذاعة والتلفزيون ، ثم سمع عن الفرقة المصرية الوليدة فأقبل سعيداً يعرض خدماته .

لم يمض أسبوعان حتى صار معي ممثلون أكثر مما أريد . ولم يرغب عن ذهني أنهم جميعاً حديثو العهد بالعمل المسرحي وما يتطلبه من جهد ومشقة ، وأننى قد أفاجأ ببعضهم يتخلى عن الفرقة في منتصف الطريق بعد أن يتضح له أن الحكاية ليست (لعباً) كما كان يتصور . ولم يكن عندي ما أستطيع أن ألزم به أحداً على البقاء معي . لم أكن أمنح مرتبات (طبعاً) ، وبالتالى لم أكن أستطيع أن أفرض عقوبات . وكان العضوان المؤسسان (فهيمى ورشدى) قد تكاسلا عن حضور البروفات ، ثم جاء وقت اختنى فيه (رشدى) تماماً ، وأما (فهيمى) فكان يحضر البروفة بدون أن يتذكر كلمة واحدة مما قمنا به في البروفة السابقة .

أمام ذلك لجأت إلى شئ هدتني إليه ظروف العمل . أشعرت كل مثل



مصرية « سيد درويش »

وكل ممثلة بأننى أستطيع أن أستغنى عنه أو عنها فى أى وقت ، فليجأت إلى تغيير الأدوار باستمرار حتى يشعر كل عضو بأن الفرقة تستطيع أن تستمر بدونها ، وأنه (هو) الخاسر إذا تكاسل أو تهاون .

ووضعت نظاماً يقضى بأن من يتغيب بروفة (واحدة) يخرج من الفرقة ، ونجحت هذه الطريقة نجاحاً رائعاً ، وتماسك أعضاء الفرقة بشكل تحسنا عليه أى فرقة مسرحية فى القاهرة .

وبعد أن اختفى (رشدى) أعطيت (هنرى دبوس) دور (سيد درويش) ولكنه لم ينجح فيه . كان هنرى يملك صوتاً جميلاً . وذهناً

عسائياً متنازلاً ، ولكنه كان موجوداً في المنزل . فسمعت صوت الدمار .
وعهدت إليه بأن يساعده في التماشي الإداية . على أن أقدم في أنمان
فردية وجماعية على المسرح ، وفست أنا بأمر (سيد دوتاني) وسادت
القافلة .

اشترت أقمشة مختلفة للرجال والنساء ، بقية بيتي (جلالين)
وفساتين مصرية) في منزل . كنت أرىهم أحياناً على الرق ثم أسلم
التصميم والقماش لصاحبة منزل فتحويلها إلى ثوب منسج على ما تدينه
خيالها .

لم تكن صاحبة المنزل تفهم أهمية نشاطي أو معناه . ولكنها كانت تراقني
مخلصاً فيه ، فساعدتني وأفرغت لي كل أوقات فراغها .

وفي مخزن (كنيسة سيدة لبنان) عثرنا على كمية هائلة من الأشرطة
سرعان ما أحلناها إلى ديكورات للمسرحية بالألوان والزيت .

أما الإكسسوار من الكراسي المصرية والسجاجيد والسلاسل والشيخة
وما إلى ذلك فإننا درنا على كل البيوت القروية القديمة في (ملهرون) وسرعنا
ما فيها . وكان كل من نقتنيه يساعدهنا بأقصى ما يستطيع .

ومع ذلك لم يكن الطريق مفروشاً بالورد تماماً . قابلتني عقبات كثيرة
حلت بعضها وتركزت بعضها الآخر الزمن يحله كما يشاء .

من أولى هذه العقبات ما لحق في سجن (المثلثين) من سجن من . فخلال
الحوار وحفظ الحركة والقارة على التماس . وكان يقابل هذه العقبة من
ناحية أخرى الاختلاص الرائع الذي كان يملأ جميع الناس . فاستمعت
على الاختلاص وتحويلته إلى مدرسي في الابتدائي . كل كلمة أقالها كانت

المرات . كل حركة أدتها عشرات المرات . والأغاني رددتها ورددتها حتى
نصودت في النهاية أنني قد أتحوّل شخصياً إلى مطرب .

وكانت هناك ثلاث عشرين في مصر ولكنهن لا يقرأن ولا يكتبن
العربية . فكتبت أكتب من الأدوار بالحروف اللاتينية .

كانت هذه عقبات (فنية) ، وكان التغلب عليها ممكناً مع الإخلاص
والجهد ، ولكن كانت هناك عقبات أخرى لم يكن التغلب عليها ممكناً
أو بالأعلى الأقل . كانت هناك أسئلة تدور في المحيط العربي عن (حقيقة)
ما أفعله . . عن هدف من ذلك الشاغل . . عن شخصياً . . وكانت الأسئلة
تصل إلى فلا أهتم بالرد عليها . كنت واثقاً من أن النتيجة سوف ترد بنفسها
على كل ما يدور من أسئلة .

وكانت البروفات مزيجاً من الجهد والأمل والضحك أيضاً ، فما أكثر
الطرائف التي كانت تحدث . من ذلك مثلاً أن (فهمي) بعد بروفات شهر
كامل اتفهم عجزه الكامل عن حفظ جملة واحدة تزيد على أربع كلمات .
مرة بعد مرة وبروفة بعد بروفة ولا فائدة . في كل مرة يبدو وكأنه غريب
عن كل ما يحدث في البروفة . .

عرضت عليه أن يترك الدور مادام لا يستطيع أن يحفظه ، ولكنه تمسك
بالدور بشكل مؤثر . فركت له الدور وبحثت عن طريقة أعالج بها هذه المشكلة .
ثم وجدت الطريقة . . كان دوره يتطلب منه أن يمسك مصحفاً في يده
طول الوقت يفتحه من وقت لآخر ويقرأ فيه ، فكتبت له دوره في نوتة
صغيرة واستبدلتها بالمصحف على أن يقرأ دوره من النوتة باستمرار وكأنه
يقرأ القرآن .

ومن الطرائف ما حدث للزميل (توفى شلهوب) . كان (توفى) شاباً مرحاً ضاحكاً ساخراً باستمرار . وقد تصورت في البداية أنه من المستحيل أن أضمن استمرار وجود توفى في الفرقة ، لأن تصرفاته لم تكن توحى بأى جدية . ولكنى اكتشفت فيه بعد ذلك رقة شعور جميلة وإخلاصاً وجباً للعمل والتعاون . كان قلباً مصرياً نقياً يرحب وتدمع عيناه لكل ما يذكره بمصر .

وكان قد هاجر إلى أستراليا وترك عائلته في مصر على أن يشتغل ويدخر ما يضمن له أن يستقبل عائلته عند حضورها بشكل معقول . ولكنه لم ينجح في شيء ، وكان ينتقل من عمل إلى عمل ومن منزل إلى منزل . كان طفلاً كبيراً نقي القلب . وعندما انضم إلى (أضواء القاهرة) وجد فيها العائلة التي تركها في مصر ، فأقبل عليها بكل وجدانه وشبابه وحنينه إلى مصر ، وعندما سمع أغاني (سيد درويش) لأول مرة سحرته وتغلغل في أعماقه فظل يرددّها دون أن يستطيع أن يكف عن الغناء . كان يشكو لي من أنه لا يستطيع أن يمنع نفسه من الغناء . كان يغني في البيت ، في الشارع ، في العمل ، في البروفة . وكان الناس ينظرون إليه وهو يردد هذه الأصوات (الغريبة) ، وكانت نظرات الناس تخجله ولكنه لا يستطيع أن يكف عن ترديد (الحلوة قامت تعجن في البدرية . والديك بيدن كوكو في الفجرية) .

طالما ضحكنا لهذه الظاهرة دون أن نتصور أنها سوف تنقلب إلى جد أو سوف تتسبب في كارثة حتى جاء اليوم الذي كان يقف فيه في عمله في (مصانع فورد) وهو يغني (زوروني كل سنة مرة) ، وإذا به يفاجأ برئيسه يسلمه خطاباً مغلقاً ، وفي الخطاب وجد قراراً بالفصل لأنه (يسبب

شوشرة وأصواتاً مزعجة) أثناء العمل .

خسر (تولى) وظيفته من أجل أغاى (سيد درويش) وبدأ يبحث عن وظيفة جديدة . كان يبحث بالنهار ويواصل الحضور إلى البروفات بالليل . والغريب أنه وهو يبحث عن الوظيفة الجديدة كان يغنى (سالمة يا سلامة رحنا وجينا بالسلامة) .

هذا الحنين وهذا الحب وهذه الطاقة الشابة الرائعة ظهرت في أجمل صورة في كل ما قام به (تولى) في فرقة أضواء القاهرة .

أما (إلياس شلهوب) ابن عمه فكان أكبر منى سنًا وقد جعله ذلك أكبر أعضاء الفرقة سنًا . وكان منظره - ولا يزال طبعاً - يوحى بالجدية والصرامة والخبرة . ولكن تصرفاته كانت تحير الألباب ! !

كان يتطوع لأداء أى عمل أطلبه من أحد . ثم لا يقوم بهذا العمل . ثم يعتذر ثم يتطوع من جديد ، ثم يعتذر ، وهكذا .

حيرنى أمره كثيراً ، ولكنى ضحككت في النهاية عندما عرفت (سره) الحقيقي . . الخجل . كان إلياس خجولاً جداً وكانت نيته طيبة دائماً في كل ما كان يعرضه ثم كان خجله يغلبه فيعجز عن أدائه . وكان وراء هذا الخجل النية الطيبة والقلب الطيب والحب للفرقة ولباقى الزملاء ، ففقت منه بأن يساعدى - في السر - وعهدت إليه بإدارة المسرح .

واقترب موعد الافتتاح . . ولم يكن في نيتى أن أترشح عنه يوماً واحداً . وكان المتفق عليه أن نقدم المسرحية في صالة (كنيسة سيده لبنان) بعد تحويلها إلى مسرح لنوفر إيجار المسرح ، ولكننا فوجئنا بأحداث غريبة مؤلة تحدثت في الكنيسة . كان (للأب بولس الخورى) رعية كبيرة



مسرحية « سياه درويش »

من الشبان والشابات يباشرهم ويرعاهم جميعاً كأنهم أولاده . . وكانت أولى المفاجآت المؤلمة وفاة شابة من هؤلاء في حادث سيارة . وبعدها بأيام توفي شاب في حادث سيارة . وبعده بأسبوع توفي شاب آخر في حادث سيارة . ملأ الحزن الكنيسة وقلب (الأب بولس الخوري) وقلوبنا جميعاً . لم يعد في إمكاننا أن نقيم مسرحةً في الكنيسة الحزينة .

استأجرنا مسرحةً آخر في (كنيسة جميع الأديان) التي يشرف عليها القس الأسترالي (نورمان لو) . . وهو رجل مهرج مهزار يرفض أن يناديه أحد بكلمة (أبى) وقيم حفلات تعارف مستمرة بين أبناء الأوطان المختلفة .

كان (نورمان لو) رجلاً غريباً لا يثير الاحترام ولا الحب ، ولكن مسرحه كان مسرحاً ممتازاً كاملاً من جميع النواحي . وبعد أن استأجرناه منه لمدة أسبوع قمنا بالبروفات النهائية على هذا المسرح حتى يحفظ الممثلون الحركة على خشبة المسرح الجديد . .

وطبعنا التذاكر والبروجرامات وحددنا ثمن التذكرة (دولاراً) ، ولكننا لم نكتب السعر على التذكرة حتى لا نخضع للضرائب ، بل كتبنا على التذاكر (الدخول بالتبرع) لتفادي مشاكل لا نقدر عليها . وبدأنا توزيع التذاكر قبل الافتتاح بأسبوع ، فأعطينا كل من نعرفه مجموعة من التذاكر لتوزيعها . وكانت النتيجة طيبة ، بل أكثر من طيبة مما كنا نتوقع .

ثم جاء أخيراً اليوم الموعد . يوم الافتتاح وذهبنا جميعاً إلى المسرح من الصباح الباكر وقدمنا بروفة كاملة بالملابس والديكورات والإكسسوار . وبعد البروفة قسمت العمل الإداري على (أصدقاء الفرقة) ، فخصصت أربعة منهم للوقوف في الصالة وإرشاد المتفرجين إلى مقاعدهم ، ثم أوقفت على الباب الزميل (جورج فريد) ووضعت معه كمية إضافية من التذاكر في حالة حضور أحد بدون تذاكر .

وفي مساء فاجأتني الطبيعة مفاجأة لم أكن أتوقعها . انهمر المطر بشكل مخيف مصحوباً برعد وبرق ، وتحولت الشوارع إلى بحار هائجة تحت تأثير الطبيعة الغاضبة ، وضعت يدي على قلبي وقلت إنه من المستحيل أن يحضر أحد في هذا الجو المخيف . ولكنني كنت واهماً جداً لحسن الحظ . سرعان ما ملأت العربات كل الشوارع المؤدية إلى (كنيسة جميع

الأديان) ، وامتلات الصلاة وجاءنى جورج فريد ييكى غيظاً لأنه لا يستطيع صد هجوم الجمهور عليه بعد أن باع كل التذاكر التى أعطيته إياها . ما أبدع هذا ! ،

أعطيته كمية أخرى من التذاكر ، وأرسلت معه زميلين آخرين ليبحثا عن كراسى إضافية فى كل حجرات الكنيسة . ووضعنا الكراسى الزائدة فى الممرات الخالية حتى لم يعد فى الصلاة موضع لقدم ، وتحولت الصلاة الهادئة إلى صالة سينا فى أحد أحياء القاهرة الشعبية .

من أجهزة التسجيل تتصاعد الأغانى المصرية ، ومن البوفيه تتصاعد رائحة (الطعمية) فقد عهدت إلى (أم برناديت) بالإشراف على صنع الفول والطعمية وعمل سندوتشات وبيعها فى البوفيه استكمالاً للجو الشعبى المصرى . وقد نجحت فكرة البوفيه نجاحاً بديعاً وبيع السندوتش الصغير الذى يحتوى على قرص طعمية واحد بمبلغ (٦٠ سنتاً) .

وسط هذه الحرارة وهذا الحماس بدأنا الحفل ، فقدمنا تابلوه (الوطن العربى) وهو النشيد الذى وضعه (محمد عبد الوهاب) ، ثم تابلوه (عدوية) من ألحان (محمد الموجى) ، وتابلوه (الجارسونات) من ألحان خالد الذكر (سيد درويش) وبعد هذه التابلوهات الغنائية الراقصة قدمنا مسرحية (سيد درويش) .

وقد نجحنا نجاحاً سوف أظل إلى آخر عمرى أتذكره وأتدفأ به . . كان التصفيق يقاطعنا طول الوقت ، والضحك يتعالى أمام كل جملة مرحة ، وكأننا فى مسرح (نجيب الريحاني) ، والتجاوب معنا يشعرنا بأننا فى قلب القاهرة ، وملأت السعادة قلوبنا نحن الممثلين الجدد ، وكان من

المستحيل الفصل بين الجمهور والممثلين لشدة الاندماج والتجاوب .
 ووسط هذا النجاح حدثت عدة طرائف . .

كنت قد عهدت إلى (إلياس شلهوب) بالميكروفون ليعلن عن كل
 شيء مقدمه ، واتفقت معه على أن يعلن عن وجود (سندوتشات الفول
 والطعمية) بعد الفصل الأول من المسرحية .

ونفذ (إلياس) الاتفاق ، وأعلن عن الفول والطعمية في الموعد المحدد ،
 وذهب الجمهور إلى البوفيه فلم يجد شيئاً . . كانت رائحة الطعمية قد جذبت
 كل من שמها قبل أن يبدأ الحفل ، وكانت النتيجة أن كل ما بالبوفيه نفذ
 قبل الإعلان عنه .

وأما (فهمي حافظ) فقد أثبتت مفاجآته الطريقة أنها أكبر من ذكائي .
 كنت أتصور أنني (ضمنت) بعد أن كتبت له دوره في نوتة وسمحت له بأن
 (يقرأ) الدور من النوتة أثناء التمثيل .

ولكنه كان يفتح النوتة ويردد حواراً من الفصل الثاني في حين أننا في
 الفصل الأول ، أو يردد حواراً من الفصل الأول ونحن في الفصل الرابع حتى
 بدا وكأنه يعيش في مسرحية أخرى . وحتى كاد يحدث لنا بلبلة غريبة على
 المسرح لولا ما كان يسود العرض كله من روح طيبة .

ثم كان دوره يتطلب منه أن يحمل إبريقاً مليئاً بالشاي ويوزعه على
 الممثلين في أحد المشاهد . وقد حرصت على أن أملاً له الإبريق بنفسى بين
 الكواليس حتى لا يحدث خطأ . ومع ذلك فقد ظهر على المسرح والإبريق
 خال تماماً من الشاي واضطر الممثلون أن (يتظاهروا) بأنهم يشربون
 الشاي . ولكن أين ذهب الشاي الذى ملأت به الإبريق ؟ شربه (فهمي)

أثناء فترات الاستراحة حتى يبقى متنبهاً ولا يكبس عليه النوم ! !
وجاء موقف بينه وبينى على المسرح أو بين (محمود مرسى) و (سيد درويش) وكان الموقف يقضى بأن يخرج فهمى من المسرح ويتركنى بمفردى على المسرح لكي أغنى (زوروى كل سنة مرة) ، ليس ذلك فقط بل إن خروجه كان إشارة لرجال الإضاءة بتخفيض الإضاءة على المسرح لإعطاء الجو المناسب للأغنية العاطفية .

وبدا الموقف على ما يرام . وانتهى فهمى من دوره وقال : (تصبح على خير يا شيخ سيد) ولكنه لم يخرج من المسرح . وقف جامداً فى مكانه وقد نسى البروفات العديدة التى تدربنا فيها على هذا المشهد . همست له بالخروج . . . اخرج يا فهمى . . اخرج . . ولم يخرج . تصلب فى مكانه ولم يتحرك . واضطرت أن أمس لرجال الإضاءة لتخفيض الإضاءة . وأكملت المشهد العاطفى ، فبكيت وغنيت وهو واقف بجانبى إلى آخر الفصل ، وبين الكواليس أمسكت بتلابيبه وسألته عن السر فى عدم خروجه . فأجاب فى براءة كاملة بأنه كان يعجب بأدائى للمشهد الأخير . ولذلك وقف بجانبى ليشاهدنى عن قرب ! !

كان لابد أن تحدث هذه الأخطاء الطريفة فى عمل هو الأول من نوعه فى أستراليا ومع أشخاص يقفون على المسرح للمرة الأولى فى حياتهم . وكان النجاح رائعاً . وفى الختام غنينا جميعاً النشيد المصرى الخالد (بلادى بلادى) فألهبنا حماس الجماهير التى وقفت تردد النشيد معنا والدموع تملأ عيونها . .

كانت ليلة رائعة ومجزية أيضاً ، وكان نجاح (أشموا القاهرة) شيئاً

انفجر كالقنبلة في المحيط العربي في (ملبورن) وكان ذلك النجاح هو الرد الحاسم الجميل على كل ما كان يدور من أسئلة عنى وعن فرقى .

وأصبحنا (نجومًا) يستوقفنا من يعرفنا في الشوارع ويعبر لنا عن إعجابه وتقديره لنشاطنا . واستمر ذلك الحلم الجميل أسبوعاً ، وتلقفنا آلاف التهانى من الكثيرين . وكان أجمل هذه التهانى وأشدها تأثيراً فى نفسى تهنته (دكتور ناصح ميرزا) الذى اعتذر لى عن استخفافه السابق ، وقال إن ما حققته فى شهرين شىء لا يمكن وصفه إلا بأنه معجزة . وجدته (جنتلماناً) مصراً على إعطاء الفضل لأصحابه . بل إنه دعانى وفرقى إلى أول اجتماع عقدته (الرابطة العربية) بعد ذلك وقدمنا إلى الجميع ذاكرة القصة بحذافيرها . ثم انتهى الحلم ووزعت الأرباح على كل من ساهم فى نشاط الفرقة . وبدأت أستعد للمسرحية التالية (روض الفرج) .

أسندت دور البطلة إلى (برناديت) التى كانت قد نجحت نجاحاً ساحقاً فى (سيد درويش) واكتسبت شعبية كبيرة ، ولكن ظهر أن هذا النجاح كان أكبر من سنّها واحتمالها فقد ملأها الغرور . وبدأت تعاملنا (نحن) على أنها نجمة كبيرة . بدأت تتخلف عن البروفات ، وإذا حضرت بروفة تطلب أن تؤدى دورها بسرعة . ثم تخرج من البروفة .

كلام فارغ طبعاً . هذا شىء يهدد كيان الفرقة ، وإذا تركت لها الحبل على الغارب فإن ذلك سوف يشجع غيرها على الاستهتار بالمواعيد والبروفات . ومع ذلك ماذا أستطيع أن أفعل ؟ ليس من السهل أن أجد فى يوم وليلة ممثلة أخرى لها مواهب (برناديت) وجاذبيتها المسرحية . أرسلت لها (تولى وإلياس) وكانا قد أصبحا جزءاً عزيزاً من نفسى ومحللاً لثقتى الكاملة . وقد نصحتها

الاثنان بأن تواصل العمل في جدية واهتمام فأصغت إليهما ثم وعدتهما بالانتظام . ورغم ذلك تخلفت عن البروفة التالية .
وجدتني في موقف لا يحتمل التردد فأعلنت الاستغناء عن (برناديت مهران) بطلّة الفرقة وأكملت البروفة بدونها لحين العثور على ممثلة أخرى .
وبعد البروفة سألتني (توني والياس) عما أنوي أن أفعل بعد خروج (برناديت) من الفرقة ؟ فأجبتهما بأن الله وحده يعلم . ولكن الفرقة سوف تستمر وسوف نعثر على بطلّة أخرى . .
واستمرت البروفات وذلك السؤال يلح على في كل لحظة . أين أجد البطلّة التي تقوم ببطولة مسرحية (روض الفرج) ؟



❁ ضابط بريد ❁

مع الأيام الأولى لتكوين (فرقة أضواء القاهرة) تسلمت وظيفتي الجديدة . . .

أصبحت (ضابط بريد) ، ويجب أن يكون مفهوماً هنا أن كلمة (ضابط) لا تعنى ما تعنيه عندنا فما هى إلا الترجمة الحرفية لكلمة (مكتبي) أو (متعلق بالمكتب) فهذه الكلمة الجميلة (ضابط) يضعها الأستراليون بجانب كل عمل إدارى أو مكتبي .

ووجدت الوظيفة الجديدة تتصف بصفات كثيرة طيبة ، أولى هذه الصفات أن العمل فيها كان فى شارع من شوارع المدينة وليس فى إحدى الضواحي مثل (مخازن ج . ج كولز) وهذه الصفة جعلت الوظيفة أكثر إنسانية وجعلتنى أطمئن إليها . .

الصفة الثانية أن العمل مسائى (من الثانية ظهراً إلى العاشرة مساءً) وهو موعد معقول يمنحنى النوم بارتياح والحياة بارتياح والتحرك بحرية والبحث عن وظيفة مناسبة فى فترة الصباح . .

ثم كانت هذه الوظيفة حكومية فلم أكن عاملاً هذه المرة . ارتقيت خطوة . لم أصر (ضابطاً) طبعاً ولكنى صرت شيئاً مثل (الأفندى) ، هذا



المنزل رقم ٤٠٥ شارع لايمون

ما شعرت به في خطواتي الأولى في مصلحة البريد .
ومع ذلك لم أكن مخلصاً تماماً لهذه الوظيفة . لم تكن هي الوظيفة المثالية
التي أحلم بأن أستقر فيها ، فإن مرتبتها لم يكن يزيد كثيراً على مرتبي في المخازن .
كانت بالنسبة لي وظيفة مؤقتة . مرحلة انتقال . عمل خفيف أؤديه حتى أجد
الوظيفة التي تناسبني حقاً .

في اليوم الأول ذهبت في الموعد المحدد ، واتضح لي أنني لم أعين بمفردى
بل إنني واحد من دفعة كاملة (٥٠) موظفاً جديداً . واستقبلنا موظف مهذب
وقال لنا أول جملة إنسانية سمعتها في مجال العمل في أستراليا ! قال : تفضواوا



في حدائق مابورن

بالجلوس . . . جلست وأنا أدعو الله أن يكون (الجلوس) شيئاً طبيعياً في هذا المكان بعد أن (وقفت) شهرين كاملين في (مخازن ج . ج كولز) .
وبدأنا ذلك الموظف ببنمعة توجيهات خاصة بمواعيد الحضور والانصراف ونظام العمل ، ثم تطلب منا أن نقسم يمين الولاء لصاحبة الجلالة ملكة إنجلترا أقسمنا وتعهدنا عهداً مقدساً -- بالآ نقشي أسرار العمل . وبذلك انتهت مهمة هذا الموظف معنا . ثم حفر موظف آخر ليلقى علينا محاضرة عن أهمية البريد في حياة الأمم والأفراد . .
استغرقت المحاضرة ساعتين ، والواقع أن المحاضر قال كلاماً عميقاً مؤثراً

ما كان أجددنا أن نتأثر به وأن نحس بخطورة ما نحن مقدمون عليه ، لولا أن المحاضرة لقيت منا آذاناً لاهية ، كما بدا واضحاً في وجوه الزملاء .

وبانتهاء المحاضرة صرنا (ضباطاً) في مصلحة البريد في حكومة أستراليا . وتركنا المحاضر إلى موظف ثالث قادنا في رحلة استطلاعية لكي نلم بالعمليات العديدة المعقدة التي يمر بها الخطاب حتى يصل إلى صاحبه .

من حجرة إلى حجرة ، ومن ما كينة إلى أخرى ، وقائدنا يشرح لنا بدقة وسرعة ما نراه أمامنا حتى وصلنا إلى صالة المبتدئين . . وجدنا صالة لا أول لها ولا آخر كأنها ميدان عام ، مليئة بالترابيزات الطويلة التي يجلس حولها مئات الموظفين وهم يعملون ويضحكون ويصدرون ضجة تضم الآذان . . وكان هذا المنظر وحده كفيلاً بنزع أى شك من أننا في مكان حكومي حقاً .

أجلسنا رئيسنا الجديد حول ترابيزة خالية ، في وسطها مجرى مرتفع قليلاً متصل في بدايته بفوهة دولا ب كبير ، ثم أخبرنا الرئيس أن الخطابات سوف تخرج من فوهة الدولا ب وتمر في المجرى ، وعلينا أن نفرزها حسب الأحجام . فنضع المستطيل مع المستطيل والمربع مع المربع وهكذا . .

عمل سهل . وبدأت الخطابات تنهمر علينا . ونحن نتخاطفها ونرتبها في جهد هو باللعب أشبه . .

مضى الوقت في هذا التهريج ، وجاء وقت تناول الشاي ، لم يكن بالمجان هنا ، كان سعر الفنجان (٢ سنت) ومعه بسكويت متواضع القطعة منه سعرها (سنت واحد) وبعده جاءت (ساعة) لتناول العشاء . ساعة كاملة وليس نصف ساعة كما كان النظام في المخازن ، ولاحظت أن القوضى تسود كل شيء ، وأن الموظفين يهربون بالساعات دون أن يتمكن أحد من مراقبتهم ،

حتى لقد تعجبت كيف تصل الخطابات في موعدها بالرغم من هذه الفوضى .
ثم جاءت فترة الشاي الثانية وبعدها مضى الوقت حتى شارفت الساعة التاسعة
مساء وإذا بنا ننقل إلى موقع آخر أمام آلات تخرج منها الخطابات بسرعة
الصوت ، وكان علينا أن نرتب هذه الخطابات لا حسب الحجم بل حسب
العنوان المتجه إليه الخطاب . .

كان عملاً شاقاً ، وكانت الخطابات تتكاثر بسرعة مخيفة ، وكان علينا
أن نفكر أمام الآلة كالمجانين حتى نتمكن من التوافق مع سرعة لقطها
للخطابات .

ساعة واحدة أمام هذه الآلة الجهنمية ولكنها كانت تعادل تعب اليوم كله
واتضح بعد ذلك أن العمل أمام هذه الآلة يومي وأنه لا مهرب منها ، فكانت
هذه هي الساعة التي نخشاها جميعاً . .

ولكنني تعودت في الأيام التالية العمل بسرعة أمام هذه الآلة والعمل
ببطء وعيبت على الترابيزة المستطيلة . وكانت تمر أمامي آلاف الخطابات
الداهية إلى كل أركان الدنيا .

تعودت كل شيء وأصبح بإمكانى أن أترك العمل ساعة على الأقل كل يوم
دون أن يشعر بي أحد ، أو أن أتمارض فأذهب إلى عيادة الطبيب الذى وجدته
إنجليزياً عاش في مصر فترة طويلة ، فكان يحلوه دائماً أن يحدثني عنها وعن
ذكرياته فيها . وكونت علاقات كثيرة كان أهمها صداقة مع فنان شاب من
(يوغوسلافيا) وكان ساخطاً على وجوده في أستراليا ويحلم باليوم الذى يعود
فيه إلى وطنه . كان فناناً رقيق الحس والشعور ، وكان وجهه صورة طبق
الأصل من تمثال (دافيد) ليكل أنجلو حتى إننى كنت أناديه (دافيد) بعد

أن نسيت اسمه الأصلي .

وتصادقت مع شابين من اليونان لم يكنا يعرفان كلمة إنجليزية واحدة . وقد لجأ إلى لتوضيح كل شيء لهما ، وكانت ألتألم منهما بالإشارة ، وقد أحبيتهما لبساطتهما . ولم أغضب عنهما عما عجزا عن حفظ اسمي ، وفضلا أن ينادياني باسم (صديق) ، ولاحظت تشابها كبيرا بين طباعتهما ولبائتهما .

ولاحظت عموماً أن المستوى الاجتماعى فى مصالحة البريد أرق كثيراً منه فى مخازن ج . ج كولز . وقد فهمت فيما بعد أن زملائى فى المخازن كانوا حثالة الأمم ممن يعجزون عن أى شيء إلا العمل اليائس بالبحث . أما فى مصلحة البريد فالمفروض فى الموجودين أنهم متعلمون .

وجاءت نهاية الأسبوع وتسلمت أول مرتب لى من خدمة أستراليا . ثم تلاه أسبوع آخر . ولم يكن فى نيتى (الاستقرار) فى مصلحة البريد . ولكنى استنمت إلى ما فيها من راحة وفوضى وتبريج ومواعيد مريحة . فتكاسلت عن البحث عن وظيفة أخرى لولا صديقتى المخلصة (مسز نينا كروناس) صاحبة المنزل الذى كنت أسكن فيه .

كانت (نينا كروناس) امرأة بيضاء مديدة القامة ذات ملامح متناسقة واضحة ، وكان كل ما فيها يجذب . إذ كانت ذكية مرحة ذات طبيعة عملية ، وكانت تتحمس للدفاعى وتقدمى كلما تتحمس لحياتها الشخصية . كانت تتمتع بقلب كبير فى الواقع . وقد عرفت منها أنها من (ليتوانيا) وأنها عاشت الحرب العالمية الثانية ورأت بعينها أهوال الحرب وآلاف الجثث والمنازل المحترقة وعاصرت الدمار والخراب . ثم هربت إلى أستراليا وهى لا تعرف كلمة واحدة من الإنجليزية واشغلت عاملة صغيرة ،

۱۲۱



مع « بادی » فی شوارع ملبورن

محفرت طريقها بأظافرها . وانتقلت من مصنع إلى مصنع وهي تتعلم اللغة والحياة في أستراليا حتى قابلت الرجل الذى تزوجته ، وهو أيضاً من (ليتوانيا) ، ثم اشترت المنزل الذى سكنت فيه . وبعد سنوات مات زوجها وعاشت وحدها من دخل المنزل ومن المعاش الذى تحصل عليه من الحكومة (١٦ دولاراً أسبوعياً) .

كانت تنظف المنزل يومياً بمفردها ، ثم تخرج إلى السوق لتشتري طلباتها اليومية . وبعد ذلك تقصد إلى محل البقال المجاور للمنزل لتشتغل فيه ساعة أو ساعتين حسب التساهيل . . وكانت تتسلم رسائل وترد على مكالماتى التليفونية فى غيابي ، وكانت توجهنى باستمرار إلى ما يجب وما لا يجب عمله فى أستراليا ، وهى التى كانت تحثنى دائماً وما أسألتها عن مكان حتى تحضر خريطة (ملبورن) وتبحث بنفسها عن أسهل مواصلة لذلك المكان .

كنت أجد عندها دائماً الصداقة الخالصة ، وأجد فى منزلها النظافة والراحة والاطمئنان والدفع . بل إننى كنت أجد فى المنزل أيضاً ميزة هامة لا تتوفر فى معظم منازل (ملبورن) القديمة . . هذه الميزة هى وجود (الحمام) داخل المنزل وليس خارجه . فإن (المجارى) نظام حديث فى (ملبورن) ، ولذلك فإن جميع المنازل التى بنيت قبل دخول المجارى قد عملت حساب ذلك وجعلت الحمام فى الحديقة الخاصة بالمنزل وليس بالمنزل نفسه .

شيء مزعج جداً أن يضطر الإنسان إلى الخروج بالليل أوفى الصباح الباكر من الفراش الدافئ إلى الحديقة الباردة حيث يصفعه الهواء القارس

١٢٣



في حديقة فيتزروي

في ذهابه وإيابه .

كنت سعيداً بذلك المنزل متفريخاً إلى الدفاح في مجال الفن ومجال العمل . ومع ذلك كنت معرضاً لأن أترك هذا المنزل بعد سكني فيه بفترة قصيرة وذلك بسبب صديقتي الأولى في أستراليا (بادى) .

وقد عرفت بادى في أول منزل سكنت فيه في تلك الأيام الصعبة الأولى التي كنت أجد فيها كل شيء غريباً ومجانباً . كنت أشكو من البرد الذي فاجأني وأذهلني ولم أعرف طريقة أو نذير بها منه . ولم تذكر لي صاحبة المنزل (مسز كيرلى) شيئاً عن باقي سكان المنزل فلم أعرف شيئاً . ولكنني كنت أجد فتاة حسنة تروح وتجيء في المنزل وكانت أظن أنها ابنة (مسز كيرلى) .

ثم فوجئت ذات يوم بهذه الفتاة الحسنة تطرق باب حجرتي وتستأذن في الدخول . أذنت لها وأنا في غاية الدهشة لجرأتها ، ولكنها عرفتني بنفسها في لطف وقالت : إنها عرفت من (مسز كيرلى) أنني أشكو من البرد . وأنها لذلك أحضرت (قربة) صغيرة لكي أملأها بالماء الساخن وأضعها بجانبى وأنا نائم . كانت الفتاة إنسانية كريمة من هذه الحسنة الغريبة . وكانت بداية الصداقة بيننا . وتعودت بعد ذلك أن تنضم إلى حجرتي كل يوم بمجرد عودتي من العمل وتلازمي حتى وقت متأخر من الليل . وعرفت أنها (أيرلندية) الأصل ، ولكنها سمعت على الجنسية الأسترالية . وأنها تعمل في شركة تاكسيات فهي تلبس زيوم التاكسيون لتتلقى طلبات التاكسيات ، أى طلبات الذين يريدون تاكسيات .

وبعد أيام التعارف الأولى بدأت (بادى) تذكر لي قصصاً غريبة عن

رجال يضايقونها وتستغزنى للوقوف أمام هؤلاء الرجال . وإذا خرجنا معا كانت تتعمد أن تجعلنى أنفق كل ما قد يكون معى . وبدأت أرى وراء جمالها ورقتها جشعاً ورغبة فى التسلط على ، ووجدتها لا تترك لى دقيقة فراغ واحدة بل تأخذ وقتى كله ، فتركت منزل (مسز كيرلى) إلى منزل آخر صاحبه عجوز شمطاء مجنونة سليطة اللسان ، والمنزل نفسه قدر مهدم ، ونافذة حجرى مكسورة ، كان الهواء الثلجى يدخلها كل ليلة دون استئذان . ولكن (بادى) تصورت أننى انتقلت لأحتفظ بصداقتنا بعيداً عن أعين الرقباء ، فما كنت أصل إلى المنزل يوماً إلا وأجدها فى انتظارى . . كنت فى هذه الأيام أقرأ الرموز الأولى لأستراليا ، وأكافح باستماتة فى سبيل ضمان حياتى يوماً بيوم ، فوجدت (بادى) عبثاً ثقيلاً . ولم أرض أن أتحوّل معها إلى المهاجر المجنون الذى يصرف ما فى الجيب ليأتيه ما فى الغيب . خصوصاً بعد أن فوجئت بها يوماً تطلب منى (٩٠ دولاراً) قرضاً . غادرت ذلك المنزل إلى منزل (مسز نينا كروناس) .

وتبعتنى (بادى) أيضاً ، تلاحقنى بالزيارات كل يوم ، ولا تترك لى ساعة واحدة أفرغ فيها إلى نفسى . وكنت ألمح الغضب المهدب فى عيني (مسز كروناس) حتى حدث مرة أن حضرت (بادى) إلى البيت فى أثناء غيابى . وأخبرتها « مسز كروناس » بأننى غير موجود . وعند ذلك طلبت أن تنتظرنى فى حجرى حتى أعود . فرفضت (مسز كروناس) . وعند ذلك هددتها « بادى » أن تدخل بقوة البوليس ! !

وقامت مشادة بين الاثنين . وفى الصباح أخبرتنى (مسز كروناس » بما حدث وخيرتنى بين البقاء فى المنزل وبين استقبال « بادى » .

فاخترت المنزل وراحة البال واختفت « بادی » من حياتى .
 بقيت فى مصلحة البريد شهراً كنت خلاله سعيداً بكل شيء ،
 راضياً عن الدنيا وما فيها ، وتعودت أن أخرج من المنزل قبل موعد العمل
 بساعات لأستكشف مدينة « ملبورن » التى لم تساعدنى الظروف السابقة
 على معرفتها .

مشيت فى الشوارع التى كنت أخشى قديماً أن أفقد نفسى بعد كل
 خطوة فيها .

مشيت الآن باطمئنان العارف الوائق بعد أن حفظت جغرافية
 « ملبورن » وأعجبني النظام الهندسى العجيب الذى خططت الشوارع
 على أساسه . فالمدينة كلها مقسمة إلى شوارع طولية وشوارع عرضية ،
 لذلك فإنه من أسهل الأمور أن يجد الإنسان العنوان الذى يبحث عنه
 طالما كان يعرف أنه يقع عند ناصية كذا وكذا . ثم رأيت فى الشوارع
 العرضية ظاهرة غريبة لم أرها من قبل ، وهى أن كل شارع هو فى الحقيقة
 شارعان متوازيان . واحد واسع والثانى ضيق ، وأضيق . وكلاهما له نفس
 الاسم باستثناء كلمة الكبير والصغير مثل شارع كولنز الصغير وشارع
 كولنز الكبير .

كأن الشارع الصغير « مقدمة » للكبير . .

زرت المتاحف والمعارض والحدائق العامة الرائعة التى تمتد وتتسع
 كالغابات وتسرى فى أوصال المدينة كالشرايين . ورأيت فى المعارض
 لوحات « أصلية » للفنانين العظام « فان جوخ - جوجان - سيزان . . .
 إلخ . . » .

وفي متحف الحضارة رأيت نماذج مصغرة لكل شيء في قارة أستراليا .
 رأيت طيوراً وحيوانات وحشرات لا توجد في أي مكان في الدنيا .
 وطففت بالمحلات التجارية التي يدور رأس الإنسان فيها لكثرة
 المعروضات وروعها ، ورأيت محلات يكاد الواحد منها أن يكون مدينة
 مستقلة مثل محلات « ماير » التي تشغل مساحات هائلة على امتداد ثلاثة
 شوارع ، والتي يشاع عنها أن المسؤولين فيها يتحدثون أي زبون أن يدخلها
 ويخرج بدون شراء شيء أو أن يطلب شيئاً لا يجده ، فالمحلات تعرض بحوار
 منتجات أستراليا منتجات من جميع أقطار العالم . . ويستطيع الزبون
 أن يشتري كل شيء . . من (الإبرة) إلى « الصاروخ » بالتفصيل أو
 بالدفع الفوري . وإمعاناً في اجتذاب الزبائن يعتمد المسؤولون في « ماير »
 إلى اختيار سلعة كل يوم يقدمونها بنصف سعرها الأصلي . هذا الاختيار
 يكون دائماً مفاجأة ، فلا يستطيع أحد أن يعرف هذه السلعة مقدماً ، ولذلك
 فإن الزبائن يضطرون إلى الذهاب إلى « ماير » كل يوم للبحث عن سلعة
 اليوم الرخيصة . .

وبلغت أرباح « ماير » في تلك السنة « ١٧ مليون دولار » وأصدر
 المحل كتاباً ذكر فيه قصة « ماير » الأب الذي دخل أستراليا وهو
 لا يملك إلا قميصه .

رأيت « ملبورن » في صورة زاهية مشرقة فأحببتها ، ورأيت الخنافس
 يسرون في الشوارع في حرية وجدية ، ورأيت أجمل نبات الدنيا وهن
 يلبسن أغرب التقاليع ويسرن في الشوارع حافيات كنوع من الابتكار .
 كنت أتمتع بهذه الراحة النفسية الطارئة وأواصل على مهل البحث

عن وظيفة ، حتى قرأت يوماً إعلاناً عن طلب رسام فى شركة إعلانات .
كسبت طلباً للوظيفة وأرسلته ، وسرعان ما جاءنى الرد يحدد لى موعداً
للمقابلة الشخصية .

كانت المقابلة الشخصية هذه المرة فى (مكتب استخدام) مع رجل
عملى مرجح لم يتركنى أتحدث طويلاً ، بل ألقى نظرة سريعة على رسمى
وأخبرنى بأنه يعتقد أننى سوف أفوز بالوظيفة ، ثم أعطانى خطاباً للشركة
وكتب لى العنوان ثم أراد أن يسهل لى المسألة فوصف طريقة الوصول ،
فقال إن على أن أركب تراماً من منزلى إلى محطة القطار ، ثم أركب القطار
أربع محطات ، وبعد ذلك أركب الأتوبيس حتى آخره وفى النهاية أمشئ
مسافة (٢ كيلو) . .

وفى اليوم التالى نفذت نصيحته بالحرف ، وركبت الترام والقطار
والأتوبيس ، ثم بدأت رحلة الـ (٢ كيلو) .

كان الطريق واسعاً ، وكانت السيارات تعبره فى ثمانية اتجاهات ،
ولا يوجد رصيف أسير بجانبه ، فسرت وسط العربات أحتمى بالله من سيلها
الذى لا ينتهى . قطعت نصف المسافة تقريباً وما أدرى إلا والمطر ينهمر
مرة واحدة . وفى ثوان كانت ثيابى تقطر ماء . كنت الإنسان الوحيد الذى
يمشى بين العربات ، وكان من الجنون أن أواصل السير ، فكيف أصل
إلى الشركة التى أرجو أن أعمل بها لأول مرة وأنا أبدو كغريق خرج من الماء
لتوه .

عدت أدراجى جرياً ووصلت إلى البيت وأنا أرنجف من البرد .
كنت ساخطاً على هذه الوظيفة مندهشاً أسائل نفسى لماذا لا توجد الوظائف

الممتازة إلا في الأماكن النائية ! !

أما صاحب مكتب الاستخدام الذى أرسلنى فقد حملت له في نفسى موجدة كبيرة لكونه السبب في هذه البهدة .

ومر اليوم واعتقدت أن الموضوع قد انتهى ، وأنهم لا شك قد اختاروا أحداً غيرى ، وإذابى أفاجاً بتلغراف من مكتب الاستخدام يطلب ذهابى فوراً .

ما الذى يريده ذلك المجنون ؟ ذهبت إليه فوجدته - لدهشتى - غاضباً يسألنى لماذا لم أذهب إلى الشركة ؟

قصصت له ما حدث ، ولكنه لم يتأثر ، بل ظل غاضباً وقال : كان يجب أن تذهب بأى شكل ، لأن الشركة متمسكة بك .

تحملت غضبه أمام هذا الكلام الطيب ، ووعده بالذهاب في اليوم التالى . وفي المنزل حكيت القصة كلها (لمسر كروناس) فعمدت إلى خريطة (ملبورن) ، وفرشتها على الأرض ، وسرعان ما اكتشفت أن هناك أتوبيساً يبدأ من باب المنزل إلى باب الشركة . وكان غباء إذن من الرجل أن يصف لى هذه الوصفة الحمقاء . .

وفي الصباح التالى ذهبت مبكراً ووصلت قبل أن يصل باقى الموظفين واستقبلتنى موظفة الاستعلامات الشابة ورجتنى أن أنتظر حتى يحضر موظف شئون العاملين . . وبعد دقائق أخبرتنى أن ذلك الموظف لم يحضر بعد ، ولكن وكيل الشركة قد حضر وأنه يحب أن يقابلنى .

كان الوكيل رجلاً فى الحلقة السادسة بشوشاً ضاحكاً بسيطاً أجش الصوت عاليه كأنه ابن بلد من الجمالية . وقد أراى الأعمال المطلوب منى

رسمها فوجدتها أشياء بسيطة أستطيع أداءها وأنا مغمض العينين . .
 ملأتني رؤية الرسوم التافهة ثقة في نفسي ، فتحدثت في وضوح
 ومرح وكاء حتى خلبت لب ذلك الوكيل الطيب القلب الذي كان يقهقه
 في صفاء أمام كل ما أقول .
 ثم بدا لنا أن كل ما قد يقال قد قيل ، وارتاح كلانا إلى الآخر ،
 وعند ذلك بدأ يتفق معي على المرتب والواجبات والمواعيد .
 المرتب (٨٠ دولاراً) في الأسبوع . . والأيام أربعة أيام ونصف
 يوم في الأسبوع . والمواعيد من التاسعة صباحاً . لا الثامنة إلى الرابعة
 بعد الظهر .
 آه . . كل هذا رائع . وهذا كله لقاء القيام بهذه الرسوم الهائفة . إن
 قلبي يزغرد فرحاً وعسى يارب ألا تضيع هذه الفرحة .
 وعند ذلك جاء موظف شئون العاملين ! ! !
 رجل ضئيل ، مشوه الوجه والجسم ، لامع العينين كالمجانين ،
 ومظهره كله يوحي بأنه نشال أو من مدمني المخدرات .
 عند دخوله كنا نضحك ، وقد فاجأه ضحكنا فنظر إلينا في هلع
 وكأنه يقول : أرجو أن أكون قد جئت في الوقت المناسب قبل أن تقع الفأس
 في الرأس . أخبره الوكيل بأنه قد وافق على تعييني وأنه اتفق معي على كل
 شيء . . فاصفر وجهه وتنحنح نحنحة مصطنعة كأنما يكلم الوكيل بلغة
 سرية ، ثم بدأ يتحدث معي وهو يحاول أن يخترق وجهي وجسمي بنظراته
 الثاقبة منقباً عما لا أدرى . وكان يتحرك في نفس الوقت في عصبية خلف
 الوكيل كأنه فأر يتصيد فرصة ليخطف شيئاً . .

أجبت عن أسئلته بوضوح ودقة واحتقار خصصته به ، ولاحظت أنه غير مهمهم بإجاباتي بقدر اهتمامه بتأملي وتفحصي ، حتى لقد توقعت في كل لحظة أن يطلب مني أن أخلع ثيالي ثم لاحظت أيضاً والحزن يتسرب إلى قلبي أن وجوده - وحركاته - قد أثرا أثراً سيئاً في نفس الوكيل الذي بدا متحرجاً وكأنه يحاول أن يسحب موافقته السابقة أو يؤجلها ، وشعرت بأن الفأر اللعين يحاول قصارى جهده أن يجرّدني من كل ما كسبته في نفس الوكيل قبل حضوره .

كان ذلك كله تياراً باطنياً ، أما في الظاهر فقد كنا ثلاثتنا نتحدث في لباقة وديبلوماسية . انتهى اللقاء . وبدلاً من أن أخرج باتفاق على بدء العمل خرجت بوعده على أن يتصلوا بي تليفونياً لإبلاغني النتيجة النهائية وفي المساء بلغتني النتيجة النهائية . الاعتذار المهذب والتمنيات الطيبة بمستقبل زاهر . .

نجح الفأر في إقصائي عن هذه الوظيفة الرائعة .

كانت صدمة أثرت في نفسي ، وزاد في إحساسي بها نظرة الأسى العميقة التي رأيتها في عيني صديقتي الطيبة (مسز كروناس) . كان إخفاقي هنا إخفاقاً لاهتمامها ولنياتها الطيبة .

ثم جاء الغد ، ومع البحث الجديد نسينا هذه القصة وآلامها . قرأت إعلاناً يطلب موظفين (مثقّفين) دون أن يحدد طبيعة العمل . . ولكن الذي اجتذب اهتمامي في الإعلان هو عنوان الشركة . كان نفس الشارع الذي أسكن فيه . هل هذا ممكن ؟ . أن أشتغل في نفس الشارع الذي أسكن فيه ؟ .

ذهبت إلى الشركة ، وقابلت المسئول ، ووجدته رجلاً طويلاً نحيلاً
أسمر البشرة والشعر يلبس نظارة سوداء .

سألني عن مؤهلاتي وخبراتي فأجبته ، ثم عرفت منه طبيعة العمل .
(مندوب بيع) فهذه الشركة تنتج ماكينات لصناعة الحلوى ، وتريد
تسويقها ، وواجباتي هي أن أمر بالبيوت لأبيع هذه الماكينات لربات
البيوت في مقابل مرتب ثابت وعمولة مجزية لقاء كل ماكينة أُنجح في
بيعها .

كانت وظيفة سخيفة ، من المؤكد أنه لا مستقبل لها ولا حاضر أيضاً .
ومع ذلك لا أدري لم تمسكت بكلامه . لعل السبب هو وجود الشركة أمام
المنزل . لعله التعب من المشاوير البعيدة هو الذي جعلني أتمسك بهذه الوظيفة
المضحكة ، وفي نهاية اللقاء فاجأني الرجل بأن تحدث معي بالعربية . .
إنه لبناني ولكنه ولد في أستراليا .

كانت هذه المفاجأة الطريفة هي الكلمة الأخيرة ، فوافقت على
الوظيفة وتعهدت بأن أبدأ من الغد على أن أستقيل من مصلحة البريد
بعد أسبوع .

وفي اليوم التالي استيقظت متأخراً فغسلت وجهي بماء ساخن وخرجت
جرياً إلى الشارع ثم إلى الشركة . وهناك قابلني الصديق اللبناني . . ووجدت
عنده مجموعة من الشبان وهو يشرح لهم طريقة استعمال ماكينة صنع
الحلوى . . كان هؤلاء الشبان هم زملائي الجدد . وقفت معهم أستمع إلى
شرحه العملي وراقبته وهو يضع السكر والقشدة والبيض وجوز الهند وشراب
الفراولة في الماكينة . ثم وهو يخرج كل ذلك من الماكينة قطعاً من الحلوى

اللذيذة . ذقناها جميعاً وأبدينا إعجابنا بها . وعند ذلك طلب منا أن نستعمل الماكينة واحداً واحداً حتى نتمرن عليها .

وقفت في انتظار دورى ، وعند ذلك فوجئت بالدموع تنهمر من عيني . .
دموع ؟ لا . . كان سيلاً منهمراً من الماء يخرج من عيني ويبلل وجهي كله . .
جففت عيني بسرعة ، وسرعان ما عادت الدموع تخرج من عيني .

ملأتني الحرج والدهشة وأنا لا أعرف سر هذه الدموع ، فلم أكن حزينة بصفة خاصة ولا سعيدة ولا في أى حالة عاطفية خاصة ، ومع ذلك فإن الدموع مستمرة في الخروج من عيني ، وعند ذلك استنتجت أنني أصبت ببرد في عيني عندما غسلت وجهي بالماء الساخن وخرجت بسرعة إلى الشارع .

عرفت السبب إذن ، ولكن الدموع مستمرة وأنا مستمر في تجفيفها ، وبدأ الموجودون يلاحظون دموعي القهرية ويندهشون . ومر الوقت وأنا أرجو أن تكف الدموع عن النزول ، ولكنها زادت حتى بللت وجهي وصدرى وثيائى فلم يعد في إمكاني أن أبقى بهذا المظهر الحزين ، فاستأذنت من صديقي اللبناني وخرجت وأنا أمسح دموعي وأضحك من أعماقي لهذا النحس الغريب الذى يلانمنى . .

ولكنى لم أكن آسفاً على هذه الوظيفة ، فقد كانت المسألة كلها تهوياً منى من البداية ، ولم أنو العودة إليها وغسلت الدموع هذه الحماقة العارضة .
ثم فوجئت في مصلحة البريد مفاجأة جعلتنى أقرر أن أبحث عن وظيفة بأسرع ما يمكن . . عرفت أن العمل الذى نقوم به هو (فترة تمرين) ، وبعدها علينا أن نؤدى امتحاناً فى أوراق يعطوننا إياها لنستظهرها في يوم

ثم تؤدى الامتحان فيما هو فيها .
 أما محتوى الأوراق فهو آلاف من أسماء الشوارع ، وأمام كل اسم رمز بريدى يشير إلى الناحية التى يقع فيها هذا الشارع .
 الامتحان شفوى خاطف ، والذي ينجح فيه يبقى فى العمل لحين امتحان آخر (أكثر صعوبة) ، أما الذى لا ينجح فإنه يفصل .
 كنت واثقاً أننى لن أستطيع أن أحفظ هذه الآلاف من الأسماء ، ،
 ولم أكن أريد أن أفصل ، لأن الفصل يمكن أن يسىء إلى مستقبل فى أستراليا . وإنما لأنه جدير بأن يؤثر تأثيراً سيئاً فى نفسى . أنا أعرف نفسى جيداً .

يجب إذن أن أستقيل قبل أن أفصل . قبل أن أمتحن . أى يجب أن أجد وظيفة أخرى فى يوم وليلة .
 شمرت عن ساعد الجلد ، ولم أنتظر إعلانات الجرائد ، بلى فتحت دفتر التليفون ونقلت منه عناوين كل شركات الإعلان وأرسلت خطابات لها جميعها . ثم جاءنى أول خطاب فحملت رسومى وذهبت إلى الشركة ،
 ومررت بقسم الرسم فرأيت الرسامين يرسمون خرائط جغرافية . هذا شىء بعيد جداً عن مجال خبرتى ، ولكنى مستعد لأن أتعلم أى شىء وورائى شبح الفصل الرهيب قابلت الموظف المسئول الذى أبدى تقديره الشديد لرسومى ولكنه اعتذر بأن العمل فى شركته هو رسم خرائط جغرافية . وهو شىء أقل من مواهبى بكثير .

كان اعتذاراً رقيقاً ، فتهتدت وهممت بالانصراف ، ولكنى وجدته يقول فى إخلاص وتأثر : ما الذى يستطيع الإنسان أن يفعله مع فنان موهوب

١٣٥

مثلك ؟ أجبته ضاحكاً : يطلق عليه الرصاص . ولكنه قال فى جدية إنه يعرف صديقاً له شركة إعلان وأنه يعتقد أن مواهبى تصلح لهذه الشركة ، فهل أقبل أن يحول طلبى إليها ؟ .

لم أجد ما أخسره فوافقت ، وعند ذلك أعطانى اسم صديقه (بيتر فاند ر هوف) ورقم تليفونه وطلب منى أن أتصل به بعد ساعتين لأعرف النتيجة . خرجت وأنا أتصور كلامه مجاملة غير جادة ، ونقلت القصة ورأيت فيها إلى (مسز كروناس) التى عارضتنى وقالت إننى مخطئ فى تصورى ، وإنما تعرف أن الناس فى أستراليا لا يقولون إلا ما يعنون . وأنه لذلك يجب أن أتصل بالشركة حسب الاتفاق . كنت لا أزال غير مصدق ، ولكنى لم أرد أن أكون جاحداً لاهتمامها ، فطلبت الرقم وجلست هى القرفصاء على الأرض تبسم لى فى تشجيع . وشد ما كانت دهشتى عندما رد على (بيتر فاند ر هوف) وأخبرنى أنه تسلم طلبى وأنه موافق على تعيينى ، ويرجئ أن أحضر لمقابلته .

فمتى أستطيع أن أقابله ؟

حددت له الغد وأنا ذاهل . ثم وضعت الساعة ونظرت إلى مسز كروناس التى كانت تضحك سعيدة وهى تقول : (جالك كلامى) ؟ فى اليوم التالى قابلت صاحب العمل الجديد (بيتر فاند ر هوف) ، واتفقت معه على البدء فى العمل بعد أسبوع بمرتب (٥٠ دولاراً) فى الأسبوع .

كان اتفاقنا شفوياً ، ولم نكتب شيئاً فيما عدا الطلب الذى قدمته

إلى الشركة السابقة ، ومع ذلك فقد عينت في هذه الشركة . فهكذا
تسير الأمور في أستراليا .

وفي ذلك المساء ، في مصلحة البريد ، سلمنى الرئيس ورقة أسماء
الشوارع المربعة فسلمته استقالتى . وبعد أسبوع صرفت مرتبى ومكافأتى
وبدأت عملى الجديد رساماً في شركة إعلانات (بيتر فاندريهوف) .



❁ رسام إعلانات ❁

كانت الوظيفة الجديدة طفرة كبيرة فى حياتى . ارتقيت من (أفندى) إلى (جنتلمان) . . وقد بدأت العمل الجديد وأنا أطوى قلبي على أجمل النوايا الطيبة له . قلت لنفسى : هذه هى الوظيفة التى سوف أستقر فيها طالما بقيت فى أستراليا .

لم يكن المرتب (٥٠ دولاراً) هو المرتب الذى أحلم به أو الذى أستحقه ولكن المزايا الأخرى غطت - فى رأيى - هذا النقص . . أولى المزايا كانت أن هذا العمل هو (لأول مرة) العمل الوحيد الذى أحبه من أعماق قلبي . بل لم أكن أعتبره عملاً . كان الهواية التى أسعد بمزاوتها فى كل وقت . الميزة الثانية هى قرب مقر الشركة من منزلى . كان بإمكانى أن أمشى إليه إذا خرجت مبكراً فى الصباح ، فإذا تأخرت فإن الترام الذى يقف أمام منزلى مباشرة ينقلنى إليه فى دقائق .

وكان كل يوم يمر على فى شركة الإعلانات يقنعنى بصواب رأيى . . كانت الشركة فى (شارع كولتزر الصغير) ، وهو من الشوارع لراقية فى المدينة . وكانت الشركة فى شقة صغيرة فى بيت صغير ذى ثلاثة أدوار كلها حافلة بمكاتب عمل وشركات مختلفة .

وفى الطابق الأرضى تجلس فتاة جميلة غريبة ، مهمتها أن تحضر الشاى والقهوة للموظفين فى مواعيد تناول الشاى . هذه الفتاة حيرتني وقتاً طويلاً ، إذ كنت أراها كل صباح ، ويعجبني شعرها الأصفر البديع . وفى المساء أرى فتاة أخرى سوداء الشعر تشبه الأولى تماماً حتى لقد ظننتهما توأمتين . ثم ضحكت كثيراً عندما اكتشفت أنهما فتاة واحدة ترتدى باروكة شعر صفراء فى الصباح وباروكة أخرى سوداء فى المساء . أما لون شعرها الحقيقي فلا يعلمه إلا الله . .

وكانت الشقة التى نعمل فيها أربع حجرات ، والموظفون قليلين يعدون على الأصابع .

أولهم (بيتر) صاحب الشركة ومدير العمل ، وهو شاب هولندى الأصل طويل طويلاً غير عادى ، له وجه ضاحك برىء كوجوه الأطفال ، وتأتى بعده (كريستين) سكرتيرة الشركة ، وهى فتاة جريئة جميلة رشيقة كأنها مانيكان . ثم (بيرل) وهى فتاة صغيرة الحجم قبيحة الوجه ، ولكنها خفيفة الظل محبوبة من الجميع ، ثم (روز) وهى تتكلم كثيراً وتنسى نفسها فى الحديث بالساعات ، وقد شجعتني رقتها وبساطتها يوماً على أن أتصور أنها تحاول إغرائى فسرت معها فى الحديث فى هذا الاتجاه وإذا بها تنفر وتغضب بشكل أثار دهشتي وندمي .

بعد هؤلاء يأتى (لورانس) مندوب الشركة لتسويق أعمالها . وهو رجل ذكى ساخر ولكنه مؤدب شأنه شأن الأستراليين جميعاً . ثم (جون) وهو شاب عملاق مصاب بالزكام باستمرار ، وهو رسام ، ولم أجد فيه عيباً إلا

أنه (شحاذ) بالفطرة ، فكل ربع ساعة كان يقصصنى مسرعاً قائلاً :
أعطني سيجارة .

أما (تشارلز) الرسام الثانى والذى كان يطلق شعره بطريقة الخنافس
فإنه فصل فى نفس اليوم الذى عينت فيه .

هل كان فصله إنذاراً عملياً لى ؟ . أو أن (بيتر) استغنى بى عنه ؟ .
على أى حال - باستثناء هذه الحادثة - فإن البداية كانت طيبة جداً .
أخبرنى (بيتر) فى بساطة وإخلاص أنه لا يتوقع منى أن أؤدى ما يطلبه بالضبط
فوراً ، وأنه يعرف أن إخضاع المواهب لاتجاه معين يتطلب وقتاً ومثابرة
ونخبرة ، وأنه لذلك يتوقع منى أن أخطئ كثيراً فى البداية .

وافقت على كلامه ليكون ذلك خط رجعة لى ، ولكنى كنت فى الوقت
نفسه أنوى أن أدهشه بإتقان الأعمال التى يطلبها منى بأسرع مما يتوقع .
هكذا بدأنا معاً .

وجلسنا إلى المكتب الفخم فى الشقة الأنيقة ، وتحت تصرفى دولاب به
كل خامات الرسم . كنت أبدأ العمل من التاسعة صباحاً وبعد ساعتين اتصل
بى (وبنا جميعاً) موظفة الاستعلامات الشقراء السمراء لتسألنى عما أحب أن
أشرب . شأى أم قهوة ؟ وبعد دقائق تصعد إلينا ومعها طلباتنا . فإذا جاءت
الساعة الواحدة خرجت (لمدة ساعة) للغداء ، وفى الثالثة مساءً أشرب
الشأى مرة أخرى ثم أنصرف إلى منزلى فى الخامسة مساءً .

شعرت لأول مرة بأننى فى وسط متمدين حقاً . كان الجميع مؤدبين
مهذبين اندمجوا معى بسرعة ولم يشعرونى لحظة واحدة بأننى مهاجر . وشيئاً
فشيئاً صرت صديقاً للجميع . عرفت كل شيء عن (كريستين) وعن

أحلامها في أن تصير (مانيكان) تغزو « صالونات » الأزياء . وشاركت (بيرل) يومياً في الحديث عن مشروع زواجها الذى كانت تخطط له وتدخر كل « سنت » تكسبه في نفس الوقت الذى كان خطيبها أيضاً يدخر كل ما يكسبه ليشتريا المنزل الصغير الذى ينويان أن يعيشا فيه بعد الزواج . وأصلحت ما أفسدته حماقتي مع (روز) وشاركتها الاهتمام والإعجاب بأطفالها الصغار الذين كانت تحتفظ بصورهم معها طول الوقت . ثم تمكنت من أن ألزم جون حدوده في الشحاذة وأن أنقص إلى أقل قدر ممكن عدد السجائر التي يشحذها مني كل يوم . أما (لورانس) فلم أكن أراه كثيراً لأن معظم عمله في الخارج ، ولكنه كان مجاملاً مؤدباً في كل مرة قابلته فيها .

كان كل شيء حولي طيباً وأنيقاً ومريحاً . وكان المستقبل يبدو أمامي مفروشاً بالزهور والعبور . أتقنت العمل الذى كان يكلفني به (بيتر) وأصبحت أنتج بسرعة وخبرة ودربة .

ولكن شيئاً واحداً كان ينغص على جمال هذه الجنة التي كنت أعيش فيها ، هذا الشيء هو أن عملي لم يكن فنياً تماماً . كان عملاً هندسياً يحتاج إلى خبرة ودقة ولكنه لا يحتاج إلى مواهب خاصة . وأنا مواهبي (خاصة جداً) لا تلمع ولا تجدد نفسها إلا في الرسم الحر الخيالي . وقد صارت (بيتر) بذلك يوماً فقال لي : إنه يفهم تماماً هذا الموقف ، لأنه هو نفسه فنان . ولكنه قال إن السوق لا تحتاج إلى الفن بقدر ما تحتاج إلى العمل الهندسى . وعرفت منه أنه درس الفن في بلده (هولندا) ثم حضر إلى أستراليا بأمل أن يجد مجالاً لمواهب دراسته .

ولكنه لم يجد ، فأخضع مواهبه لطلبات السوق ، وابتدأ يقوم بتنفيذ هذه الأشكال الهندسية التي تحتاج إليها جميع الشركات . والدليل على نجاحه أنه تمكن في ظرف سنتين من أن يكون هذه الشركة . ومع ذلك قال لي إنه لا يريد أن يخسر مواهبه الفنية ، وإنه ينوى الاستفادة بها في المستقبل بعد أن يطمئن على وفرة طلبات الأعمال الفنية التي تحتاج إلى خلق وابتكار مثل اللوحات والإعلانات . في هذه الحالة سوف يجعلني أفرغ للفن الحر وينشئ قسماً يجعلني رئيساً له . . لم يعد عندي إذن ما أشكو منه .

ومرت الأيام وكان كل شيء يبدو أكثر جمالا وأكثر سهولة . ثم تعين معي رسام جديد اسمه (ديك) وطلب مني (بيتر) أن أدربه على العمل . كان (ديك) شاباً أسترالياً صغيراً مهذباً جداً وكان مندجاً في جمعيات سياسية تنادي بضرورة استقلال أستراليا عن إنجلترا .

ثم شكالى « ديك » يوماً من كثرة شحاذة « جون » السجائر منه ، فضحكت وأخبرته بتاريخى مع (جون) ، وعند ذلك اتفقنا على خطة لتأديب (جون) نهائياً . وبنينا خططنا على أساس طريقة (جون) في الشحاذة . فإنه عندما كان يطلب سيجارة لم يكن يطلبها لله . بل كان يقول إنه (نسي) أن يشتري سجائر . . لذلك اتفقنا على أن يكون ردنا على (جون) في كل مرة يقول فيها هذه الجملة الحمقاء : مادمت نسيت أن تشتري فاشتر منا . وفعلا كنا نبيع له السجائر .

مرة بعد مرة . وأخيراً كف (جون) عن شراء السجائر منا ، وبدأ يحضر معه لأول مرة علبة سجائر خاصة به . أما أنا و(ديك) فقد تعلق كل منا بالآخر وبدأت أخرج معه بعد

العمل وأرى وجوهاً للمبورن لم أكن أعرفها من قبل .

عرفت عشرات المطاعم اليونانية واليابانية والإيطالية التي تقدم أصنافها المحلية للزبائن ، وتمنيت أن أرى مطعماً مصرياً تتصاعد منه رائحة الملوخية والثوم والفول والطعمية ، وعرفت المطاعم الصغيرة الأنيقة التي (تخدم فيها نفسك بنفسك) والتي تتفنن في صنع الأطعمة وتضع اللحم والتفاح معاً في سندوتش واحد . وأعجبني من أصناف هذه المطاعم (فطيرة الأرنب) . والأرنب يقدم فيها بطريقة لم أرها إلا في أستراليا ، فهو يفرغ من محتويات بطنه ، ثم ينظف ويحشى باللوز والجوز وما إلى ذلك ، ثم يشكل على هيئة فطيرة مستديرة ، ويربط بخيط رفيع ثم يدخل الفرن ليخرج منه بعد ذلك فطيرة حمراء شهية .

هذه الفطيرة ثمنها (٧٠ سنتاً) أى ٣٥ قرشاً . .

وعرفت المطاعم الفخمة التي يكاد الإنسان يفقد وعيه أمام فخامتها ، (ولم تعجبني هذه المطاعم !) ، وعرفت الكازينوهات التي تعرض كل ألوان الفن ابتداء من الموسيقى الرفيعة إلى الإستربتيز ، ودور السينما الفخمة ، ودور السينما الغربية التي يستمر العرض فيها من الصباح إلى الصباح بتدكرة واحدة . فهي مظلمة ليل نهار ، ولكن فيها ساعة كبيرة لامعة بجوار الشاشة كأنما تذكر الجمهور بالوقت إذا كان جمهور هذه السينما يهمل الوقت ! !

وفي معظم الأحيان كنت أذهب إلى البيت لأتغدى وأتبادل حديثاً سريعاً مع (مسز كروناس) ثم أهرع إلى العمل . فإذا لم أتغدى في البيت فإنني كنت أتغدى مع (ديك) في الشارع . كنا نقصد دولاباً أوتوماتيكياً موضوعاً في الشارع (في كل شارع) ، ثم نضع فيه الثمن فيخرج لنا الغذاء ساخناً

في علب من البلاستيك .

وبعد ثلاثة أشهر من وجودى فى شركة الإعلانات عين معنا (مستر جوهانز أرسولمليو) وهو رجل فى الخامسة والستين لا يختلف كثيراً عن نفل ظل اسمه ، كان يشغل موظفاً فى مصلحة المناجم فى «نيوغينيا» لمدة ٥٠ عاماً ثم خرج على المعاش بمعاش «٧٠ دولاراً» أسبوعياً وجاء إلى ملبورن ليستمتع بحياته ، ولكنه لم يشأ أن يبقى عاطلاً فتقدم بالإعلان الذى نشره «بيتر» يوماً عن طلب مراجع لغوى فوافق بيتر وعينه بـ «٤٠» دولاراً فى الأسبوع .

وجلس جوهانز أرسولمليو فى نفس الحجرة التى كنت أجلس فيها أـ (ديك) ، وقد لاحظت من البداية أنه لم يحبنى وأنه لا يبدو عليه بنوى أن يحبنى . ولم يهمنى شعوره فأنا أيضاً لم أرتج إليه . كان فى حد ساعطاً على كل شيء . وبالذات على البرد . وهذا شيء طبعى بالنسبة لشخص عاش طول عمره فى (نيوغينيا) الاستوائية .

كان يحضر كل صباح وهو يسعل ويبصق ويتمخط ويشكو من البرد . ويحيل حياتنا جحيماً ، ولكنه كان شخصاً مضحكاً . هكذا تصوره أنا و(ديك) ، وصار كل ما يقوله يحملنا على الضحك . بل إننا كنا نضحك قبل أن يتكلم . وشيئاً فشيئاً تعود البرد وكف عن الشكوى وانشغل مراجعته اللغوية .

وسارت حياتى رخيّة هانئة فى شركة الإعلانات حتى بدا أنه ليس فى الإمكان حقاً أبدع مما هو كائن .

وعند ذلك استيقظ (شيطان الهدم) فى نفسى يسألنى لماذا لا تستقيل ؟ ..

كان السؤال غريباً لا معنى له ولا مكان له ولا سبب له ، ولكنه استمر يشغلني كأنما لا يشغلني في الوجود شيء غيره .

والسبب ؟ نعم كان هناك سبب . . السبب الحقيقي شيء في أعماقي . في طبيعتي البناء الهدامة في نفس الوقت ! !

فأنا أبني باستمرار بإخلاص وإيمان وحماس ، وأجعل من كل هدف أبنيه حياة أو موتاً ، فإذا حصلت عليه وشعرت بالاستقرار شعرت بالحزن إلى القلق من جديد ، كأنما (القلق) هو هدف حياتي الحقيقي . كأنني مكافح لا يريد أن يصل إلى شيء أبداً . النجاة في حد ذاته هو كل شيء عندي ، ولذلك أهدم كل بناء أبنيه بمجرد شعوري بأنني نجحت في البناء كأنني أتحدى شخصاً غير منظور أحاول أن أثبت له دائماً أنني قادر على النجاح في كل شيء . هكذا كنت طيلة حياتي ، ولا يبدو أنني على استعداد لأن أتغير . ولو سألتني سائل عن هدف في الحياة لقلت في صدق وإخلاص : الاستقرار . ومع ذلك فإن كل ما أسعى خلفه هو القلق والجري والكفاح . والدليل على ذلك أنني في أستراليا لا في مصر ! !

هكذا وجدت في نفسي لفة شديدة على الاستقالة والخروج من هذه اللجنة الوادعة إلى معترك البحث عن وظيفة من جديد . وبدأت الاستقالة كأنها أجمل ما في الوجود ، فأنا أفكر فيها في كل وقت ولا أستطيع أن أبتعد بفكري عنها أبداً .

قدمت استقالتني إلى (بيتر) الذي دهش دهشة بالغة ، ولكنني صممت ، فرجائي أن أبقى أسبوعين حتى يعثر علي من يحل محلي . بقيت أسبوعين وأنا أحلم بيوم الخروج من هذه اللجنة . .

١٤٥

وبعد أسبوعين سلمنى (بيتر) منهداً مرتبى ومكافأتى عن المدة التى قضيتها
معه ، وتمنى لى مستقبلاً طيباً ، ثم ودعنى الجميع ، وشربت آخر فنجان شاي
مع صديقى ديك ، ثم خرجت من شركة الإعلانات لأبدأ من جديد رحلة
البحث عن وظيفة مناسبة .

Cairo Lights Group

presents

The Great Musical Comedy

“Raud el Farag”

at Nicholas Hall, 148 Lonsdale St., Melbourne
on SATURDAY, 29th JULY, 1967, 6.45 P.M.

Directed by: **SALAH TANTAWI**

Entrance by Donation

تذكرة دخول مسرحية « روض الفرج »

❁ روض الفرج ❁

أما في فرقة (أضواء القاهرة) فإن الأمور كانت تجري بشكل مختلف . .
 كان خروج (برناديت مهران) من الفرقة قد أحدث فيها فراغاً
 ولا شك ، ولكن البروفات كانت مستمرة . وكنت أُلح في عيني (توني
 وإلياس) خوفاً نبيلاً على مستقبل الفرقة . وكنت أشاركهما بعض خوفهما
 في الحقيقة ، ولكني أيضاً كنت أحمل في قلبي اطمئناناً راسخاً لا أدرى
 مبعثه إلى أنني سوف أعثر على ممثلة ممتازة تحل محل (برناديت) وتلعب
 دور (بهيجة العظمى) الذي لعبته في مصر (زوزو نبيل) .
 ولم تمض أيام حتى تحقق صدق ظني . .

كنت أسير في الشارع وإذا بي أسمع من يناديني بالعربية : (إزيك
 يا شيخ سيد .) التفت خلفي فوجدت شاباً مصرياً ضاحكاً تقدم مني وهنأني
 على نجاح مسرحية (سيد درويش) ، ثم قدم نفسه . (رشاد زكي) وقدم
 إلى زوجته التي كانت تقف خلفه فلم أرها عندما رأيته . (سلوى صادق) .
 صافحتني سلوى في حرج وخجل ، ولكن ما إن وقع بصري عليها حتى شعرت
 بأنها هي الوحيدة التي تصلح لبطولة (روض الفرج) .
 استمر رشاد يحادثني عن (سيد درويش) وأنا لا أستطيع أن أرفع

١٤٧



سلوى صادق بطلة فرقة «أضواء القاهرة»

بصرى عن سلوى . ثم عرضت على الاثنين أن ينضما إلى الفرقة ، فوافقا في الحال وطلبت منهما أن يحضرا إلى البروفة في نفس اليوم .

كان (رشاد وسلوى) قد هاجرا إلى أستراليا منذ سنتين ، ومعهما ابنتهما الوحيدة الصغيرة . وما إن وصلا إلى (ملبورن) حتى أصيبت (سلوى) بحالة عصبية عندما رأت الشوارع خالية من الناس ، فطلبت من رشاد أن يعيدها إلى مصر ، وقد حاول (رشاد) فعلا أن يعيدها ويعود معها ، ولكن لم يكن معهما نقود يعودان بها فاضطرا إلى البقاء والعمل حتى يدخرا ثمن تذكرة العودة ، وشيئا فشيئا تعودا الجو والشوارع الخالية ، وأنجبا طفلهما الثانى ، واشترى عربة وشقة ، واستقرت بهما الحياة في (ملبورن) ، ولكنهما لم يستطيعا قط التغلب على الحنين إلى مصر . هذا الحنين الذى دفعهما إلى حضور أولى حفلاتنا ، ودفعهما بعد ذلك إلى الانضمام إلى الفرقة بمجرد أن عرضت عليهما ذلك . .

وفى هذه الليلة احتفلنا بانضمام هذين العنصرين الطيبين إلى الفرقة وأسندت دور (هبيجة العظمى) إلى سلوى ، ودور (زكى مرعش) إلى رشاد ، واختفت مخاوف تونى وإلياس .

وكان رشاد وسلوى يعيشان فى إحدى ضواحي ملبورن ، ولكنهما كانا أول من يحضر البروفة بعد أن يمضيا ساعة على الأقل فى (تنويم) طفلتهما ثم بتركانهما فى الشقة ويحضران البروفة .

ومع الوقت أصبحت سلوى هى (ماما سلوى) أم الفرقة كلها . ثم قدح تونى زناد ذاكرته وتذكر أسرة مصرية كاملة كانت قد حضرت معه على نفس الباخرة ، وذكر أنها أسرة ظريفة جريئة ، وأنه يعتقد أنهم



مسرحية «روض الفرج»



مسرحية «روض الفرج»

سوف يتعاونون مع الفرقة إذا عرضنا عليهم ذلك . ذهبت إليهم بعد البروفة أنا وتوني وإلياس وسلوى ورشاد . ووجدناهم أسرة مكونة من الأشقاء الأربعة جورج ويوسف وإدوارد لطفي وأختهم الشابة الجميلة ماري . وكان الأربعة قد هاجر إلى أستراليا منذ عام ليمهدوا لحضور والديهم . وفي ملبورن اشتغلوا جميعاً ، واستأجروا شقة ظريفة ، وعاشوا معاً في انتظار حضور والديهم من مصر .

وقد رحبوا جميعاً بالانضمام إلى الفرقة . وفي البروفة التالية حضروا . وأسندت إلى ماري دور (سنية الكمساري) الذي قامت به في مصر (وداد حمدي) . وإلى جورج أسندت دور مصطفى الذي قام به في مصر (محمد سلطان) وإلى إدوارد ويوسف أدواراً جديدة . وبانضمام هذه الأسرة الجديدة أصبحت « أضواء القاهرة » أسرة كبيرة تضم ثلاث أسر . الأولى أسرة توني وإلياس شلهوب ، والثانية أسرة سلوى ورشاد زكي ، والثالثة أسرة لطفي .

وأصبحت الفرقة أكبر وأغنى بالعناصر الفنية مما كانت . وتعود أصدقاء الفرقة (دكتور ناصح ميرزا ، والشيخ فهمي الإمام ، وغالب نصر الدين ، والأب بولس الخوري) متابعي البروفات كل ليلة ، حتى لقد قال دكتور ناصح ميرزا إن « أضواء القاهرة » صارت هي (الرابطة العربية) الحقيقية التي تجمع العرب جميعاً كل ليلة . ثم انضمت إلى الفرقة شابة يونانية حسناء اسمها (جورجيت بقدونس) وكانت تتكلم العربية ، ولكنها لا تكتبها . كانت تتمتع بوجه جميل وجسم

جميل . فأضفت لها مشاهد راقصة ترقص فيها بلباس الرقص الشرقى خلال فصول المسرحية .

كان كل يوم ينقل إلى هواة جدد وأعضاء جدد . منهم مصريون سمعوا عن الفرقة في أنحاء أستراليا وجاءوا للانضمام إليها . ومنهم مصريون سمعوا عن الفرقة في مصر قبل أن يهاجروا إلى أستراليا ، ثم جاءوا يحدوهم الأمل في المساهمة بنشاطهم في الفرقة .

وآخرون أرسل لهم أهلهم خطابات من القاهرة يحدوهم عما قرءوه عن الفرقة في الجرائد المصرية وينصحونهم بالانضمام إليها .

ظلت الفرقة تنمو وتتمو حتى شعرت بأننى أستطيع أن أكون من أعضائها جيشاً لا فرقة ، وكنت أرحب بكل من المس فيه إخلاصاً وجدية وحجاً للتمثيل وعند ذلك ظهرت (برناديت مهران) مرة أخرى . .

دخلت ثائرة ذات مساء ، واعتذرت عن تصرفاتها السابقة ، ووعدت بالانضمام في البروفات . . رحبت بها وقدرت شعورها الفنى الطيب الذى عاد بها إلى الفرقة ، وعرضت عليها دور (سنية الكمسارية) الذى كان فعلاً يناسبها أكثر من دور (بهيجة العظمى) . ولكنها صممت على أن تلعب دور بهيجة العظمى ، فاعتذرت لها بصفة قاطعة ، وعند ذلك اختطفتم معطفها وحقيبتها وخرجت مسرعة دون أن تنظر إلى أحد .

كان هذا آخر مشهد مثلته معنا (برناديت) ، وقد أسفت حقاً لفقدانها ولكنى كنت أعرف أن تنمرها وتمردا أكبر من مواهبها . وأنه قد يؤثر تأثيراً سيئاً على نظام الفرقة ، وكان النظام والهدوء هو كل ما أحتاج إليه . لأن كل دقيقة كانت محسوبة ، ولا وقت للخلافات ولا للمشاحنات .

١٥٣



المؤلف في مسرحية «روض الفرج»

كانت طريقتي في العمل هي أن أحدد في أول بروفة تاريخ عرض المسرحية . ثم أقسم الوقت بين البروفة الأولى والبروفة الأخيرة إلى مراحل عمل (من حفظ حوار وحفظ حركة وحفظ أغان وتصميم ملابس) . وأتشدد إلى أقصى حد في ألا تغطي مرحلة على مرحلة . أتشدد إلى درجة أن من كان يرفع صوته في أثناء البروفة كان يخرج لا من المكان بل من الفرقة كلها . فضلا عن النظام القديم الذي يقضى بفصل أى ممثل يتغيب بروفة واحدة . كنت أعيش البروفات في جدية وصرامة وقسوة ، وأعتمر الممثلين وأدريهم على كل كلمة وكل حركة حتى أثق أنهم يؤدونها تماماً كما أتصورها . .

وبعد البروفة كنت أخلع قناع الصرامة والقيادة وأتحدث على سجيقي مع توني وإلياس ولا نفترق حتى يكاد الديك أن يؤذن للصباح . وفي إحدى هذه الجولات اكتشفت موهبة جديدة عند إلياس بالإضافة إلى مواهبه القديمة (الخجل والإخلاص) . . . اكتشفت فيه موهبة تأليف الأغاني .

كنا نجلس ثلاثتنا عند غالب نصر الدين ، وأخرج إلياس ورقة من جيبه طلب مني أن أقرأها وفي أثناء قراءتها بدأ توني يمدحها ويؤكد شاعرية إلياس . واستنتجت من ذلك أن إلياس طلب من توني أن يساهم معه في إقناعي . إقناعي بماذا ؟ قرأت الأغنية فوجدتها فعلاً أغنية جميلة رقيقة ، وسألت إلياس عما يريد بعد ذلك . تلثم إلياس ثم سكت . أما توني فطلب مني أن أضبع لها لحناً وأغنيها في المسرحية . كم أحب توني وإلياس . . لهذه الدرجة يثقان في ! ! . يتصوران أنني مدمت أفعل كل شيء فلا بد أنني أيضاً أستطيع أن ألحن وأن أغني . فنظرت إليهما ولم أر أمامي إلا قلبين مصريين منيرين ، وشعرت حقاً أنني أستطيع أن ألحن وأن أغني . وبدأت ألحن وأطوع الكلمات للغناء

١٥٥

15TH ANNIVERSARY OF THE BOND OF JULY

* * * * *

THE ARAB ASSOCIATION

presents

CAIRO LIGHTS GROUP

in the great Musical Comedy

RAUD EL FARAG

* * * * *

Based on a Short Story by

NAGEEB MAHFOUZ

Written for the Stage by

SALAH TANTAWI & HUSSEIN KAMAL

Directed by

SALAH TANTAWI

1

At Nicolas Hall, 148 Lonsdale Street, Melbourne.

On Saturday the 29th of July at 6:54 p.m.

* * * * *

كتالوج مسرحية « روض الفرج »



مسرحية روض الفرج

وهما يرددان معي ، وغالب نصر الدين يرقبنا باسماً . ومع تباشير الفجر الأولى كانت الأغنية قد اكتملت لحناً وكلاماً وخرجنا من عند صديقنا اللبناي ونحن نردد اللحن حتى لا ننساه . ولما كنا لا نكتب نوتة موسيقية فقد اتفقنا على أن نظل نردد اللحن (كل منا في عمله) إلى أن نتقابل في المساء في البروفة لكي نغنيه أمام (ريكاردو ماتسا) ليكتب له نوتة .

وفي المساء التالي كنت ما أزال أحفظ اللحن ، وكان توفى يحفظه أيضاً . أما إلياس صاحب الأغنية فقد نسي اللحن تماماً .

كتب ريكاردو نوتة الأغنية ووضعها في الفصل الأول في المسرحية .

وكان توفى يقوم بدور (نحلة) الذي قام به في مصر (سعيد صالح) وكان توفى يدور كالنحلة فعلاً في الفرقة ، ويساهم في كل شيء ، ويبدل عصارة روحه في خدمة الفرقة ، ولكنه كان أيضاً يلزم الممثلات ويتحجب إليهن جميعاً مما أحزنني وجعلني أقسو عليه وأنه باستمرار إلى أن يلتفت إلى عمله ويترك بنات الناس في حالها . ثم اتضح لي في النهاية أنه لم يكن سيئ النية على الإطلاق . كان يبحث عن زوجة لا عن صديقة . وقد تزوج فعلاً إحدى ممثلات الفرقة ، واحتفلنا جميعاً بزواج ابن (أضواء القاهرة) البكر .

وبعد شهرين من البروفات استأجرت مسرحاً فخماً وسط المدينة هو (نيكولاس هول) بإيجار قدره (٣٠ دولاراً) في الليلة ، واشترت أقمشة فخمة حولتها سلوى ومارى إلى فساتين أنيقة وملابس مصرية شعبية .

واتفقنا مع مخبز يوناني على أن يخبز لنا عيشاً صغيراً يصلح للسندوتشات لأن العيش الأسترالي لا يصلح للسندوتشات . وكان هذا المخبز هو الوحيد

الذى يستطيع أن يخبز ذلك النوع من العيش ، ولكنه كان أيضاً ممنوعاً من العمل ، لأنه خالف مصلحة الضرائب فعاقبته بحرماته من العمل لمدة ثلاثة أشهر . ولم يمتنع الخبز عن العمل ، ولكنه كان يشتغل فى السر ولا يبيع إلا لمن يعرف كلمة السر . وقد عرفنا كلمة السر من صيد لرشاد وكنا نذهب إلى الخبز تحت ستار الظلام ونمشى فى حواضيق مظلمة ونعبر أنفاقاً ونقفز أسطحاً حتى نصل إلى الخبز السرى ونحص على بغيثنا . وكانت سلوى تشرف - مع قيامها بالتفصيل وبطولة المسرحية على صنع الفول والطعمية والسلطة ، فى حين كانت جورجيت تف (طرحة) فوق فستان الرقص وتقف فى البوفيه مع بعض الزملاء السندوشات .

وطبعت التذاكر والبروجرامات واعتمدت على أصدقاء الأتوزيع وجاء التوزيع ناجحاً لدرجة أننا جمعنا فى الليلة الأولى (١٠٠٠ دولار) .

ومن الطرائف التى حدثت فى أثناء توزيع التذاكر أننا قابلنا عند غانصر الدين ثرياً لبنانياً اسمه أبوأمين ، تحمس لنا وطلب ألا نحرمه من كمية من التذاكر . ووافقناه طبعاً ، وقلت له إن التذاكر كلها تحت أمه ولكنه طلب منا أن ننتظر حتى يسأل مصلحة الضرائب ليعرف هل الثمن الذى يدفعه لنا سوف يخصم من المبلغ الذى يدفع عنه الضرائب أو لا . وبأن يرد علينا فى الغد .

انتظرناه ونحن نرجو كل خير . . مادامت المسألة قد وصلت إلى سؤال مصلحة الضرائب فلا بد أنه ينوى شراء ٥٠٠ تذكرة وربما



مسرحية «روض الفرج»

تذكرة ، وفي الغد اتصل بنا (أبو أمين) وأخبرنا بأنه سأل وعرف وأنه يريد يشتري تذكرة ، فهل نستطيع تشريفه في منزله ؟ قال توني ضاحكاً : لا ؛ فيها عشوة لبنانية . . .

في الليلة التالية ذهبنا (سلوى ورشاد وتوني وإلياس وأنا) إلى منزل (أبو أمين) الذي كان يبعد ٥٠ كيلو عن ملبورن . واستقبلنا أبو أمين المنزل الذي يعيش فيه بمفرده ، ورحب بنا وجلسنا معه في (الصالون) سألنا عما إذا كنا نحب أن نشرب شاياً أو قهوة . قلنا له لا داعي . ولكم صمم فطلبنا قهوة ، ولكنه قال في ذكاء : إذا قدمت لكم القهوة الآن فإن سوف تنصرفون بسرعة ، وأنا أريدكم أن تشرفوني فترة طويلة فسوف أؤتي القهوة إذن لحين خروجكم وعند ذلك أقدمها لكم . .

هل يمزح الرجل ؟ . لا . إنه جاد جداً . على كل حال فلنأت الغرض الحقيقي من حضورنا . أخرجت له تابلوه المسرح والتدأ ووضعتهما تحت تصرفه فأخذهما وتفحصهما بدقة كأنه يفحص أوراثرية ، وبعد نصف ساعة من الفحص الدقيق أعاد لي التابلوه والتدأ بعد أن حجز لنفسه تذكرتين . .

تذكرتان فقط اشتراهما (أبو أمين ؛ ٤ دولارات) بعد كل ما تكبد من جهد وتعب لنصل إليه ولحت خيبة الأمل على وجه الجميع ، ولم بؤادر السخرية على وجه توني ، ولكنني لم أشأ أن نضيع وقتاً أكثر فشدة على كرمه واستأذنت ، ولكنه استبقانا وقال إنه قد لا يستطيع حص المسرحية لأنه لا يخرج كثيراً . فهل نستطيع أن نقدم له الآن جزءاً منها ؟ لم أستطع أن أمنع نفسي من الضحك ، وانفجرنا جميعاً ضاحكين . لا

أن الرجل يظننا فرقة (عوامل) لإحياء الأفراح والليالي الملاح !
قلت لسوى متظاهراً بالجد : غنى شوية يا لسوى . وتنحنحت لسوى
طويلاً ثم اعتذرت بأن صوتها (مخستك) شوية الليلة دى . .
وعدناه بأن نحضر له مرة أخرى ثم خرجنا دون أن نشرب القهوة
الموعودة ، وضحكنا يغلب أسفنا ، وأمام الباب مباشرة اكتشفنا أن العربية
قد تعطلت ! !

أَمْضِينَا سَاعَاتٍ فِي تَصْلِيحِهَا وَعَدْنَا إِلَى مَلْبُورِنَ وَنَحْنُ لَا نَكْفُ عَنْ
الضَّحْكَ . .

وبدأت الليلة الأولى ووقف إلياس يؤدي مسئولياته (الإذاعة والستارة
والتلقين) وكنت قد اطمأننت إلى جمهورنا الذى عرفنا فى (سيد درويش)
مطمئناً إلى وفرة توزيع التذاكر . ومن خلال فرجة الستار كنت ألمح
الجمهور مسروراً مندهشاً كأنه مسحور لا يصدق أنه سوف يشهد مسرحية
مصرية ويرى فناً مصرياً .

ثم أعلن إلياس عن رفع الستار . ورفع الستار عن مسرحية (روض
الفرج) القصة القصيرة التى كتبها (نجيب محفوظ) منذ أكثر من ربع
قرن ، والتى حولتها إلى مسرحية أخرجها فى مصر (حسين كمال) وقدمها
مسرح التليفزيون فى بداية موسم الثالث .

أسبوع من التمثيل والنجاح والتصفيق . ثم انتهى عرض (روض
الفرج) ، وبدأنا نجتمع لنخطط للمستقبل ولنرى آثار نجاحنا .

جاءنا عرض بأن نقدم المسرحية لمدة أسبوع فى (سيدنى) على حساب
التاجر اللبائى الكبير (إدمون ملكى) ، وجاءنا عرض آخر من الشيخ



مسرحية روض الفرج

١٦٣

فهى الإمام بأن نستأجر سينا بصفة دائمة نقدم فيها عروضاً كل ليلة على أن يمول هو المشروع .

وعرض علينا غالب نصر الدين أن يتولى هو الإنفاق على الفرقة على أن نتقاضى نحن أجراً ثابتاً .

كانت هذه العروض جميعاً مغرية ، وكانت نتيجة طبيعية لنجاحنا ، ولكنى كنت أرجئ البت فيها لأسمع الصوت الجديد الذى كان يهمس فى أعماق ،

فماذا كان يقول هذا الصوت ؟ .



❁ مأمور ضرائب ❁

خرجت من شركة الإعلانات وفي جيبى شهادة بمدة الخدمة ومرتبى عن الأسبوع الأخير ومكافأتى عن مدة خدمتى بالشركة .

كان الجو صحوً جميلاً والشمس ساطعة ، وكانت المحلات التى تعرض كل يوم مختلف المعروضات تلمع تحت أشعة الشمس ، وكانت المدينة كلها تبدو وكأنها معرض لوحات فنية حية .

كنت سعيداً أحس بالنشاط فى روحى وجسمى ، وأشعر بأننى أريد أن أعانق كل من يقابلنى . . كل هذا لأننى حققت هدفى واستقلت من هذه الوظيفة الممتازة ! !

كان النهار ما يزال فى أوله ، فتسكعت فى الشوارع وطفقت بالأماكن التى مررت بها فى أيامى الأولى وأنا ضال وحيد أنخبط فى سبرى وأنخبط رأسى فى الحائط بحثاً عن حل . الآذ حسيبى عامر بالنقود وقلبى مليء بالاطمئنان وكل شىء يبدو جميلاً بسيطاً مفهوماً وليس فى نفسى ذرة من خوف من شىء . ذهبت إلى مكتب العمل وقيدت اسمى ، ووعدنى الموظف بإرسال (تأمين البطالة) إلى عنوانى فى نهاية الأسبوع ، وهو التأمين الذى أظل أستحقه طالما كنت بدون عمل .

ثم ذهبت إلى السوق واشترت مؤونة الأسبوع التالى ، وضمنتها بضع وحدات من جوز الهند الذى يباع بسعر (١٠ سنتات) للوحدة ، ثم ركبتم الترام إلى البيت . لم تندھش (مسز كروناس) لرؤيتى أعود فى وسط النهار ، فقد سبق أن أخبرتها باستقالتي وسبق أن أبدت دهشتها وأسفها .
فى المطبخ جهزت الغداء وبعد أن تغذيت تمددت فى حجرى تاركاً لخيالى العنان مفكراً فى لا شىء حتى غلبنى النوم .

إحساس كامل بالفراغ السعيد هو الذى كان يملئنى فى ذلك اليوم ، ورغبة فى التقلب على السرير ما بين النوم واليقظة إلى الأبد . .

آه لو أستطيع أن أتفرغ لفرقة أضواء القاهرة . . ولكن ما الفائدة ما دام أعضاء الفرقة لا يستطيعون أن يتفرغوا ويتركوا وظائفهم ؟ كنا محكومين بلقمة العيش . ولكنى سعيد سعادة دافئة عريضة تحيط بى وتهدهدى بين أحضانها ، فلابعد عن ذهنى إذن الأفكار الحزينة والصعبة ، ولاأتمتع بأشعة الشمس التى تدخل من النافذة وتتخلل جسمى وروحى .

ما هى المدة التى حددتها لنفسى لأبدأ بعدها العمل . ؟ .

أسبوعان . قلت لنفسى : يكفينى جداً أسبوعان أعيشهما كالسائح السعيد وأبحث خلاهما عن وظيفة جديدة ، ثم أبدأ العمل الجديد بعد أسبوعين .

هكذا بدأت أتمتع بإجازتى ، وأبحث - على مهل - عن الوظيفة الجديدة . ومر الأسبوع الأول وجاءنى تأمين البطالة فى موعده ، وتسلمته وأنا أشعر شعوراً غريباً بالامتناع . البطالة نفسها كلمة قبيحة . ولكن لم أشعر هكذا ؟ أليست أنا الذى أختار البطالة . ؟ .

ومن بداية الأسبوع الثانى بدأت أبحث بنشاط أكثر عن الوظيفة

الجديدة . ولكن مر الأسبوع كله دون أن أوفق إلى شيء .
آه . . . بدأ الخوف يتسلل إلى نفسي . . . ماذا لو طالبت فترة البطالة
أكثر مما قدرت لها ؟ لقد تبطرت على الوظيفة الجميلة السابقة فهل يقدر لى أن
أدفع الثمن بطلاة مستمرة . . ؟

ودفعنى الخوف من شبح البطالة الدائمة إلى أن أعود إلى حماة الوظائف
الصغيرة ، فطرقت كل المجالات التى كنت أسمع عن وجود وظائف بها .
تقدمت إلى مصلحة المواصلات أطلب تعيينى (كمسارياً) ولكنى رسبت فى
(الوزن) ، وزنوبى فوجدونى أزيد (رطلا) على الوزن المطلوب للكمسارى .
وكانت هذه هى المرة الأولى التى أسمع فيها بأن الوزن من شروط التعيين
فى أى وظيفة .

وعدت إلى مصلحة البريد بأمل أن أقضى فيها فترة انتقال أخرى ، وكنت
أتصور أننى أستطيع أن أبدأ من جديد ، ولكن اتضح لى أنهم يحتفظون
بسجل فيه أسماء كل من تعينوا عندهم ، ولذلك سألونى لماذا استقلت ؟ ولماذا
أعود الآن ؟ كانت مفاجأة لى ، فاخترعت لهم قصة ملفقة عن مشروع
تجارى وهى زعمت أننى استقلت لكى أبدأ فيه ، ولكن المشروع فشل .
لا أدرى أبدت قصتى مقنعة أم لا ، ولكنهم وعدونى بأن يخطرولى فيما بعد ،
ثم أخطرولى فعلا بالاعتذار .

ثلاثة أسابيع ولم أجد أى وظيفة . .

هل أتصل ببيت من جديد وأعتذر له وأرجوه أن أعود إلى العمل معه ؟
ولكن بماذا أفسر له هذه التصرفات الغريبة ؟ نبذت الفكرة جانباً على
رغمى ، وواصلت البحث عن وظيفة وأنا أزداد كل يوم إحساساً بالندم

والخجل حتى صار تأمين البطالة الذى يصلنى أسبوعياً سكيناً تطعن كبريائى ومشاعرى . ثم سمعت أن مصلحة الضرائب محتاجة إلى موظفين ، فجريت إلى مجمع (الوزارات) وهو الذى تجتمع فيه رئاسات المصالح كلها .

دخلت حجرة الاستعلامات فوجدت سكرتيرة تجلس خلف حائط نصف دائرى ، وأمامها مجموعة من الشبان ، فوفقت معهم وأخبرت الفتاة بأننى أريد أن أتوظف فى مصلحة الضرائب . وبدون أن ترد الفتاة - ربما بحكم العادة - أعطتنى استمارة طلبت منى أن أملأ فيها البيانات الخاصة باسمى وشهادتى وخبرتى . وبعد أن ملأت الاستمارة أخذتها منى ثم كتبت لى خطاباً وطلبت منى أن أذهب إلى مصلحة الضرائب وأسلم الخطاب إلى موظف شئون العاملين .

أخذت الخطاب وأنا غير مصدق وطرت إلى مصلحة الضرائب ثم إلى موظف شئون العاملين وطرقت الباب ودخلت .

وجدت الموظف رجلاً هادئاً وديعاً كأنه مدرس ابتدائى ، ووجدته يتناول غداءه ، لكنه تسلم الخطاب وفتحته وقرأه وأشار إلى بالجلوس وهو مستمر فى الأكل ، ثم سألنى بضعة أسئلة وأخبرنى فى النهاية أنه موافق على تعيينى .

تنفست الصعداء ، ولكنه سألنى : هل قابلت مستر (فيتر جيرالد) ؟ من هو مستر فيتر جيرالد ؟ إنه رئيس مجمع الوزارات وهو الذى تخرج من مكتبه كل توصيات التعيين . والفتاة التى أعطتنى الخطاب هى سكرتيرته . لم أقابله طبعاً ولم أسمع بوجوده إلا فى هذه اللحظة ، والظاهر أن الفتاة أخطأت وتصرفت من تلقاء نفسها .

لابد من مقابله . هكذا قال موظف شئون العاملين . لا شيء يتم بدون موافقته ، وكان يجب أن أقابله قبل حضوري ، فإن مقابله هي حجر الأساس في كل تعيين . اعتذرت بأنني لم أكن أعرف ذلك ، ولكنه تمسك بهذا الإجراء ، وقال إن موافقته مرهونة بموافقة مستر فيتر جيرالد . . هل يموت هذا الأمل الوليد ؟ .

سلمت أمري إلى الله . وكتب لي ذلك الرجل الوديع خطاباً يتضمن موافقته ، وطلب مني أن أذهب بالخطاب فوراً إلى مستر فيتر جيرالد . ثم أعود إليه في حالة الموافقة . أخذت الخطاب وعدت جرياً إلى مجمع الوزارات ، ثم إلى الغرفة التي بدأت منها ، وسلمت الخطاب إلى السكرتيرة وطلبت مقابلة مستر فيتر جيرالد .

دخلت الفتاة حجرة جانبية ، وما هي إلا لحظات حتى خرجت ومعها رجل عجوز محتقن الوجه كأن جلد وجهه مسلوخ ، وقد نظر إلى نظرة فاحصة ثم أشار إليّ بأن أدخل معه الحجرة .

دخلت معه وأنا أشعر بأن حياتي على كف عفريت . جلست ولكنه لم يجلس بل وقف ثائراً يلوح بالخطاب في يده ، وقال إن كل الإجراءات التي تمت خاطئة ، وإنه كان يجب أن أبدأ من عنده هو . وجدته سخيلاً ، ووجدت كلامه سخيلاً ، وكنت أشعر بالغضب يملؤني ، فقلت له إنني لم أكن أعرف ، وإنه إذا كان هناك خطأ فهو خطأ السكرتيرة . ثم قلت له إنني معه الآن فلنبداً من جديد إذا شاء .

أدهشته إجابتي فتوقف لحظة ، وبلغ ريقه ، ثم قال في صراحة بغیضة ، إن مجمع الوزارات لا يسمح لأحد بالتعيين إلا إذا كان أسترالياً أو إنجليزياً .

آه . . . الحكاية كده ؟ . . .

نظرت إلى ذلك الخنزير الأحمر الثائر ، ورأيت فيه كل صور الاستعمار البغيض ، ونسيت بطالتي وحرصى على الوظيفة ، وقلت له رأى بصراحة . قلت له إن هذه روح تعصب عنصري يجب ألا توجد فى بلد مفتوح للمهاجرين ، وإننى لا أجد أى فارق بينى وبين الأسترالى أو الإنجليزى ، فأنا مهاجر شريف حاصل على شهادة جامعية من جامعة معترف بها فى العالم كله . وإذا كنت بعد ذلك أجد أن الفرص فى أستراليا ليست متاحة للجميع وأن فيه خيار وفقوس فإن الأكرم لى أن أعود إلى بلدى .

فهل يحب المستر فيتر جيرالد أن أعود إلى بلدى ؟

جلس الخنزير فى مقعده وهو ينظر إلى فى حنق ، وترددت على شفتيه أشياء كثيرة لم يقلها ، ثم لجأ إلى سلاح آخر ، فقال إننى لن أكون سعيداً وأنا أجد نفسى وسط أشخاص كلهم أجنب عنى .

وقلت له إننى لا أبحث عن السعادة بل عن وظيفة ، وأما السعادة فإننى أفضل أن أكتشف بنفسى الإحساس بها أو بعدمها فى الوظيفة .

شعرت بالقوة والثقة وأنا أرى ذلك الخنزير الأحمر يتلعم أمامى ولا يجد المنطق القوى الذى يفحمنى به . وفى النهاية قال لى إنه مضطر إلى الموافقة ما دامت كل الإجراءات التى من المفروض أن تتلو موافقته . . قد سبقت هذه الموافقة ، وابتسمت له شاكراً ، وأمضى هو الخطاب الجديد على مضض وهو ما يزال يؤكد لى أننى لن أكون سعيداً .

أخذت الخطاب وعدت إلى مصلحة الضرائب ، وقابلت موظف شئون العاملين وسلمته الخطاب ، فهنأتى ، وأخرج ورقة صغيرة كتب فيها اسمى

وشهادتى وتاريخ تعيينى ، ثم طلب منى أن أبدأ العمل فى الصباح التالى . .
وكانت المفاجأة الرائعة - ولعلها سر غضب المستر فيتز جيرالد - أننى
عينت بمرتبة على أساس شهادتى الجامعية . عينت بـ (٧٠ دولاراً) فى الأسبوع
وأما الوظيفة نفسها فهى مأمور ضرائب .

كانت هذه النتيجة هى خير تعويض عن متاعب الأسابيع الثلاثة
الماضية ، وقد أخطرت مكتب العمل فى نفس اليوم بالتعيين الجديد لكى
يمنعوا عن تأمين البطالة المشنوم ، وذهبت إلى مصلحة الضرائب فى الثامنة
من صباح أول يوم من أيام الأسبوع الرابع . وجدت نفسى مرة أخرى
واحداً من دفعة من الموظفين . كلهم مأمورو ضرائب ، وكلهم أستراليون ،
واستمعنا إلى المحاضرة التقليدية عن الضرائب وجديتها وأهميتها ، ثم تعهدنا
بعدم إفشاء أسرار العمل ، ثم وزعنا على الأقسام المختلفة . وكان نصيبى
أن أتسلم العمل فى قسم (الاستحقاقات) فى المبنى الجديد من مصلحة
الضرائب ، وهو عمارة مكيفة الهواء من بدايتها إلى نهايتها مضادة كلها
بأضواء رقيقة غير مباشرة تخلع عليها وعلى حجراتها جواً سحريراً جميلاً .

تقدمت نحو رئيس المكتب ، وقدمت نفسى إليه ، فرحب بى باسمًا وقدم
إلى نفسه : جوردون ، ثم بدأ يطمئننى من البداية إلى سهولة العمل وسهولة كل
شئ فى المصلحة ، ثم أعاد على الأسطوانة القديمة التى تقول بأنه يتوقع منى أن
أخطئ فى البداية فلا يجب أن تزعجنى أخطائى .

ثم صحبنى معه وقدمنى إلى زملائى فى الفرع الذى سوف أعمل به ،
وكان ذلك الفرع جزءاً من الصالة الكبيرة التى يجلس فيها ما لا يقل عن مائتى
موظف وموظفة . وتفصل بين فروع القسم المختلفة حوائط رقيقة من الزجاج .

ثم أرشدني جوردون إلى مكتبي ، وأشار إلى رف مجاور للمكتب وأخبرني أنني سوف أجد فيه كل صباح مجموعة من إقرارات الضرائب ، وكل ما على عمله هو أن أفحص هذه الإقرارات لأتحقق من سلامة بياناتها بالمقارنة إلى الشهادات المختلفة التي يقدمها دافعو الضرائب مع إقرارات الضرائب ، وبعد ذلك أعيدها إلى الرف .

وبعد أن قدمني جوردون إلى زملائي الجدد وسامهم لي واحداً واحداً همس في أذني : أنا واثق بأنك لم تحفظ اسماً واحداً من هذه الأسماء ، وهذا شيء طبيعي ، ولكنك سوف تعرف الأسماء جيداً مع الوقت . . .

ثم تركني لينصرف فقلت له شكراً يا مستر جوردون ، ولكنه عاد مسرعاً وقال لي : لا تقل (مستر) أبداً . . . جوردون فقط . الجميع هنا ينادون بعضهم بدون ألقاب فلم أدر ماذا أقول ، وابتسمت وجلست ، وانصرف جوردون ، ولكنه عاد مرة ثانية قبل أن يصل إلى مكتبه ثم قال : نسيت أن أرشدك إلى أهم شيء . تعال معي . قمت معه وسرنا حتى خرجنا من الصالة إلى السلم ثم هبطنا دوراً فوجدت نفسي أمام دورات المياه . وأشار جوردون إلى دورات المياه وقال هذه هي دورات المياه ، ويجب أن تعرف أن هناك اثنتين واحدة للرجال وواحدة للسيدات . الخاصة بالرجال لونها رمادي وعليها رسم يمثل رجلاً وكلمة (رجال) مكتوبة . والخاصة بالسيدات لونها أحمر وعليها رسم يمثل امرأة وكلمة (سيدات) .

وأوضح لي جوردون كل هذه الفروق الساذجة بدقة وصبر ، واستمعت إليه أدباً وبجاملة ، فلست من البلاهة بحيث أحتاج إلى مثل هذه الإيضاحات . هل يظنني الرجل الطيب قادماً من المريخ ؟

على أى حال كان جوردون يبذل كل جهده ليجعلنى أطمئن إلى العمل وإلى المكان وإلى الناس وإلى كل شيء . أما جوردون نفسه فقد وجدته إنساناً بسيطاً يتكلم ببطء وتتهمة خفيفة ونظرة شاردة ويلبس بدلة قديمة مقلوبة . وجدته الصورة النموذجية لموظفى الأرشيف فى وزاراتنا .

الآن عرفت واجباتى وزملائى ومكان دورة المياه والفروق الخاصة بها ، فهل بقى شيء لم أعرفه ؟ المواعيد . من التاسعة صباحاً إلى الخامسة إلا تسع دقائق . والعمل متصل طول اليوم باستثناء فترتى الشاى فى الصباح والمساء وفترة الغداء (ساعة) من الواحدة إلى الثانية بعد الظهر .

هكذا عدت إلى العمل فى الحكومة من جديد . مأموراً للضرائب لا (أفندياً) كما كنت فى مصلحة البريد . ووجدت العمل يتسم بالدقة والآلية والنظام والهدوء الغريب . وكأن الجميع منومون مغناطيسياً أو كأنهم يؤدون صلاة فى معبد ، فإذا جاءت فترة الشاى كان من حق كل واحد أن يفعل ما يشاء ، يجلس على المكتب أو ينام فوقه أو يأتى بكل ما يحلو له . هو حر فهذا الوقت ملكه هو .

وعرفت أن نظام الضرائب فى أستراليا يقضى بخضم الضريبة أسبوعياً من مرتب كل موظف وكل عامل . وفى نهاية السنة يملأ كل مواطن إقراراً للضرائب يكتب فيه مرتبه السنوى ويخصم منه الضرائب الأسبوعية التى خصمت منه على مدار السنة . فإذا وجد أن الضرائب زائدة على الحد الذى يجب أن يدفعه (بناء على نسبة معروفة) فإنه يطلب (الفرق) من مصلحة الضرائب فى نفس الإقرار وبعد يوم أو يومين يصل إليه شيك بالمبلغ المستحق . .

١٧٣

والذى يحدث هو أن جميع المواطنين يقبضون فروعاً في نهاية السنة ،
وهكذا ، فإن موعد المحاسبة على الضرائب يكاد يكون عيداً قومياً يسعد
فيه الجميع بما يصل إليهم من شيكات ! !
ومع الوقت عرفت زملائى وتعودت العمل وأن أجلس بدون عمل إذا
كان الرف خالياً وأبتداً رصيدى فى البنك يرتفع من جديد .
وبدا مرة أخرى : أنه ليس فى الإمكان أبدع مما هو كائن .



الدقائق الأخيرة

فتحت النافذة فوجدت (شيطان الهدم) أمامي . .
تراجعت في ذعر ، ولكنني لم أستطع أن أبتعد . وجدتني أقرب منه
مجدوباً بقوة غير منظورة . نظرت إليه فوجدته يتسم ويغمزني بعينه . .
تنهدت وقلت : أهلاً وسهلاً عايز إيه ؟

استند الشيطان إلى إفريز النافذة وعقد يديه فوق صدره حاجباً عني
الشمس والضوء والهواء ، ولم يقل شيئاً ولكنه لم يكف عن النظر والابتسام .
قدمت له سيجارة فhez رأسه رافضاً واتسعت ابتسامته كأنما يقول لي :
العب غيرها . تظاهرت بالاستخفاف ، وحاولت أن أنجاهله فأشعلت سيجارة
وتمددت في السرير وفتحت كتاباً وتظاهرت بالقراءة فيه ، وأنا أختلس
النظر إلى الشيطان .

لم يخدعه التظاهر . لم يختف . لم ينجح التجاهل ، فأغلقت الكتاب ،
وقمت من السرير واقتربت من النافذة وصحت فيه : عايز إيه ؟
قال (وكنت أخمن ما سوف يقوله) عايزك تستقيل من وظيفتك وتحل
فرقة أضواء القاهرة . . وتعود إلى بلدك .

روعني كلامه برغم توقعي له . قلت : ولكن هذا جنون . إنني الآن في أوج

نجاحي ، وظيفتي ممتازة ومرتبتي كبير وفرقتي ناجحة محبوبة وأنا الآن أجنّي ثمار كنفاحي في أستراليا .

هز رأسه باستخفاف : كلام فارغ ، لقد قمت بتجربة ووصلت إلى نهايتها ولن تستطيع أن تستقر فيها لأنك تزهد كل شيء بمجرد النجاح فيه .
قلت محاوراً آملاً : لست زاهداً هذه المرة . إنني أريد الاستمرار فيما حققته من نجاح .

قال : انظر بخيالك إلى المستقبل فلن تجد إلا النجاح . لا جديد سوف يحدث . وهذا معناه في الحقيقة أنه لم يعد أمامك إلا الموت . الكفاح والصراع والأمل والنفسل هي التي تعطيل العمر وتجعل الحياة جديرة بالحياة . أما النجاح فهو النهاية . هو الخطوة الأخيرة التي ليس بعدها إلا انتظار الموت . فهل تحب أن تموت ؟

ارتعدت وقلت : لا . إنني أكره الموت ومجرد تفكيرى فيه ينغص على حياتي . ولكن المسألة الآن ليست مجرد تجربة . إن معنى ما تقول هو أن أهدم كل شيء لأبدأ من الصفر من جديد .

قال : وهل هناك ما هو أجمل من أن تبدأ من الصفر ؟ الصفر هو الشباب . هو الميلاد المتجدد . البدايات تجعلك شاباً دائماً . هل نسيت أن سبب خسر وجك من مصر هو شعورك بأنه لم يعد أمامك جديد تتوقعه وليس عندك إلا الاستمرار فيما وصلت إليه ؟ ألا تجد نفسك الآن في نفس الحال التي كنت فيها في مصر ؟ ماذا أمامك من جديد في أستراليا ؟ مزيد من الدولارات في البنك ؟ مزيد من النجاح والشهرة ؟ كل هذا متشابه وكل هذا معناه أنه مقدمة للموت . . قلت متشبهاً بأمل جديد أخير : ولكن ماذا يقول الناس

عنى ؟ كيف يفهمون موقفى إذا هدمت كل شىء ؟
 قال الشيطان ، لا يهلك الناس . اتبع نفسك فقط . استمع كلامى
 تذكر أنه ليس بعد النجاح إلا الموت .
 طأطأت رأسى مفكراً فى كلامه ، ثم نظرت إليه ، ولكنه كان قد اخته
 وإن استمر صوته يهمس فى أعماق . ارجع . ارجع .
 كان هذا هو الصوت الذى ملأ نفسى بعد عرض (أضواء القاهرة
 الأخير وعبثاً حاولت أن أصم أذنى عنه . . فى بعض الأحيان كنت أحاول أ
 أخدعه بأن أحول كلامه إلى حلم يقظة ليضعف تأثيره فى نفسى ، فأتصو
 نفسى وقد عدت إلى مصر وقابلت أهلى وأحبائى وجلست من جديد ا
 الأماكن التى تعودتها ، ومشيت فى الشوارع التى أحبها ، ولكن هذه المحاولات
 لتجميع كلامه إنما كانت تثبت كلامه حتى بدت لى -- أخيراً -- العود
 وكأنها الهدف الوحيد المنشود . .

انتصر الشيطان ، والتحمنا معاً حتى صرنا شخصاً واحداً . قررت العود
 إلى مصر .

لم يوافقنى واحد على رأى . عارضنى الجميع . تونى وإلياس ورش
 وسلوى وريكاردو وغالب والشيخ فهمى وذكور ميرزا والأب بولس
 عارضونى وسفهوا كلامى ، ولكن لا فائدة . كانت العودة الآن هى الهدف
 الوحيد الذى يملأ كيائى نشوة وانفعالا ، وتطلعت بلهفة لا مزيد على
 إلى أن أبدأ من الصفر فى مصر . أبحث عن وظيفة وعن مسكن وع
 وجود .

بدأت الوفود تزورنى يومياً لإثنائى عن قرارى ، ولكن منطقى -- لدهشة

كان أقوى من منطق الجميع . وبذل الأحياء آخر سهم في جمعيتهم . عرض على دكتور ميرزا والشيخ فهمي أن أبقى في أستراليا وأستقيل من العمل وأنفرغ للمسرح وأنقاضي مرتبي من الرابطة العربية . كان عرضاً جميلاً ، وكان خير تنويع لكفاحي . ولكن لا فائدة . . لقد قررت العودة وبدأت تنفيذ إجراءاتها .

ذهبت إلى البنك لأسحب ثمن تذكرة العودة . كان رصيدي قد شارف (١٠٠٠ دولار) ، وتذكرت دخولي إلى ملبورن منذ شهر قليلة وكل ما في جيبي (١٦ دولاراً) ثم حجزت تذكرة على الباخرة (جاليليو) التي تسير من أستراليا إلى إيطاليا .

وقدمت استقالتني إلى جوردون الذي ذهل . كان قد مضى على في مصلحة الضرائب أربعة أشهر تقدمت فيها كثيراً ، ونجرت العمل ، وصرت بالفعل واحداً من (قسم الاستحقاقات) . حاول جوردون أن يثنيني عن عزمي ، ولكنني تشبثت بالاستقالة كما يتشبث الطفل بلعبته ، وعند ذلك تنهد الرجل الطيب ووافق ، ولكنه قدم إلى اقتراحاً أفضل من الاستقالة .

قال : لماذا تستقيل ؟ . لماذا لا تأخذ إجازة ؟

قلت مندهشاً : إجازة . . ؟ .

أجاب : إجازة سنة بدون مرتب . لعلك بعد أن تعود إلى مصر تغير رأيك وتعود إلى أستراليا ، وفي هذه الحالة تجد وظيفتك محفوظة .

قلت : ولكنني موظف جديد فهل من حق أن آخذ إجازة طويلة بهذا الشكل ؟

أجاب : أنا لا أعلم أذلك ممكن أم غير ممكن ؟ ولكنني سأحاول . سوف

أكتب طلباً وأقدمه إلى مجمع الوزارات ولنتنظر الرد منها معاً .

وجاء الرد بالموافقة ، وحصلت على إجازة لمدة سنة بدون مرتب بعد عمل أربعة أشهر فقط . قلت لجوردون : أريد أن أترك العمل قبل سفرى بأسبوع . سألتى : لماذا ؟ فأجبت : لكى أقدم طلباً أطلب فيه استرداد الزائد مما دفعته من ضرائب . فابتسم وأجاب : هل من المعقول أن تكون موظفاً فى مصلحة الضرائب ثم تحتاج إلى أسبوع لتتأقلم معك . ابقى فى العمل حتى آخر يوم ، وسوف يأتىك حقلك وأنت تعمل ، وبذلك تكسب مرتب أسبوع .

وكتب لى جوردون إقرار الضريبة ثم هرش رأسه وقال : إن ما سوف يعود إليك مبلغ صغير هو (٦٥ دولاراً) فقط . .

لم أفهم معنى كلامه ، فقلت : مادام هو حتى فأنا راض به . ولكنه بدا غير مقتنع بكلامى . نظر إلى وابتسم ثم قال : ألا تنفق على أحد ؟ فكرت ثم هزئت رأسى نفياً ولكنه قال : سوف نعرض أمرك على أنك تنفق على عائلة وأنت أنفقت عليها فى المدة السابقة (٤٠٠ دولار) فما رأيك ؟ . .

ما رأيى ؟ إنه يطلب منى التزوير . لم أدر ماذا أقول فلم أرد . ولكنه وضع هذا الرقم فى خانة مصروفاتى وبذلك ارتفع المبلغ من (٦٥ دولاراً) إلى (٩٠ دولاراً) . لقد زور رئيس قسم الاستحقاقات بمصلحة الضرائب إقرار الضرائب من أجل أن يحاملى . ولكنه كان تزويراً جماعياً شاركه فيه رؤساؤه أيضاً عن طيبة قلب .

وفى اليوم الأخير فوجئت بمجموعة من الهدايا من جوردون والزملاء جعلت الدموع تنهمر من عيني ، ثم صافحت الجميع وخرجت وأنا ألعن نفسى وألعن شيطانى معاً . أما مسز كروناس فإنها أعطتنى من وقته يوماً كاملاً

خرجت معى فيه لشراء الهدايا التى كنت أريد إحضارها معى ، لم تخرج معى لتؤسنى فقط أو لتختار لى ، بل لأنها تملك أبونها يعطيها الحق فى خصم ٢٠ ٪ فى كل ساعة تشتريها ، وبذلك وفرت لى مالا يقل عن ٤٠ دولاراً .

كان الجميع كرماء ، غمرونى بالحب والمودة ، وجاءت الليلة الأخيرة وامتلأ المنزل . حضر توفى باكيًا باسمًا ، وحضر إلياس حزيناً وقوراً ، وحضرت سلوى ورشاد ومارى لطفى وأخوتها وكل أعضاء (أضواء القاهرة) وأعضاء (الرابطة العربية) ، وامتلأ المنزل بالضحك والدموع والتمنيات الطيبة وامتدت السهرة إلى الساعات الأولى من الصباح .

وفى الصباح جاءنى دكتور ميرزا بعربته ليصحبنى إلى الميناء . وفى الطريق مررنا بكل أصدقائى وأصدقاء كفاحى : غالب نصر الدين والشيخ فهمى الإمام وادموند ملكى والأب بولس الخورى . ودعت الجميع للمرة الأخيرة وتأملت لأننى لم أجد الأب بولس الخورى . ولكنى تركت له خطاباً أودعه فيه .

وفى الميناء نقل العمال حقائى إلى كابينتى فى الباخرة (بدون تفتيش) ثم جلست مع دكتور ميرزا فى الكافيتريا حتى اقترب موعد قيام الباخرة ، وعند ذلك صعدت إلى الباخرة لأعرف مكان الكابينة التى سوف أبقى فيها شهراً كاملاً ، وما إن جلست فى الكابينة حتى فوجئت بمن يطرق الباب . ففتحت الباب فإذا به الأب بولس الخورى . لقد جاء الرجل النبيل يودعنى بنفسه ، واعتذر عن عدم وجوده فى الكنيسة ثم قال إنه ما كان يصفح عن نفسه لو أنه لم يرى قبل سفرى .

ماذا فعلت حتى أستحق كل هذا الحب ؟

EMBASSY OF THE
UNITED ARAB REPUBLIC
AUSTRALIA.

MR. S. TANTAWY
405 Lygon ST.
Carlton
MELBOURNE
VIC.



١٩٦٧ / ١١ / ٧

الرجاء / مدير جنطاري
تتمتع ببيئة جيدة
وصلنا خطابكم بتاريخ ١٢ / ١١ / ٦٧ وصرح لوالد السيد
جميع ...
أرجو ان تتقبل باسم لطفاء لطفنا وزملائنا
فناصير الامانة على ما تقدم به من جهود مشقة
والعلم
وان نرجو دعاما لتوسيعه ويزيد اسمها
نتمنى لكم التقدم والرفعة كما نتمنى لطفائنا
والعلم

مكرر من السفارة المصرية في أستراليا

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

صدر للمؤلف

دار المعارف	مجموعة قصصية	الناس والحجارة
الدار القومية	مجموعة قصصية	النقش على الحجر
الدار القومية	مسرحية	سيد درويش
الدار القومية	أوبريت	الحلوة دى
	أدب رحلات (الطبعة الأولى) كتابات معاصرة	٨ مليون دقيقة فى أستراليا
الأهرام	ترجمة (أجاثا كريستى)	القتيلة الثالثة
»	ترجمة (أجاثا كريستى)	الضحية القاتلة
»	ترجمة (روبرت ديبلون)	الضوء القاتل
روز اليوسف	دراسة أدبية	رحلة حب مع أجاثا كريستى
	رحلة حب مع سيد درويش	تحت الطبع :
	أحزان طائر الكناريا... ليلي مراد	
		كتب للأطفال :
عالم الكتب		صندوق الدنيا
دار المعارف		كروان
»		حلم زنوبة
»		حارة ستوتة
»		النخلة الذهبية
»		ثوار كوكب لوكور
»		مغامرات الدكتور فصيح

المحتويات

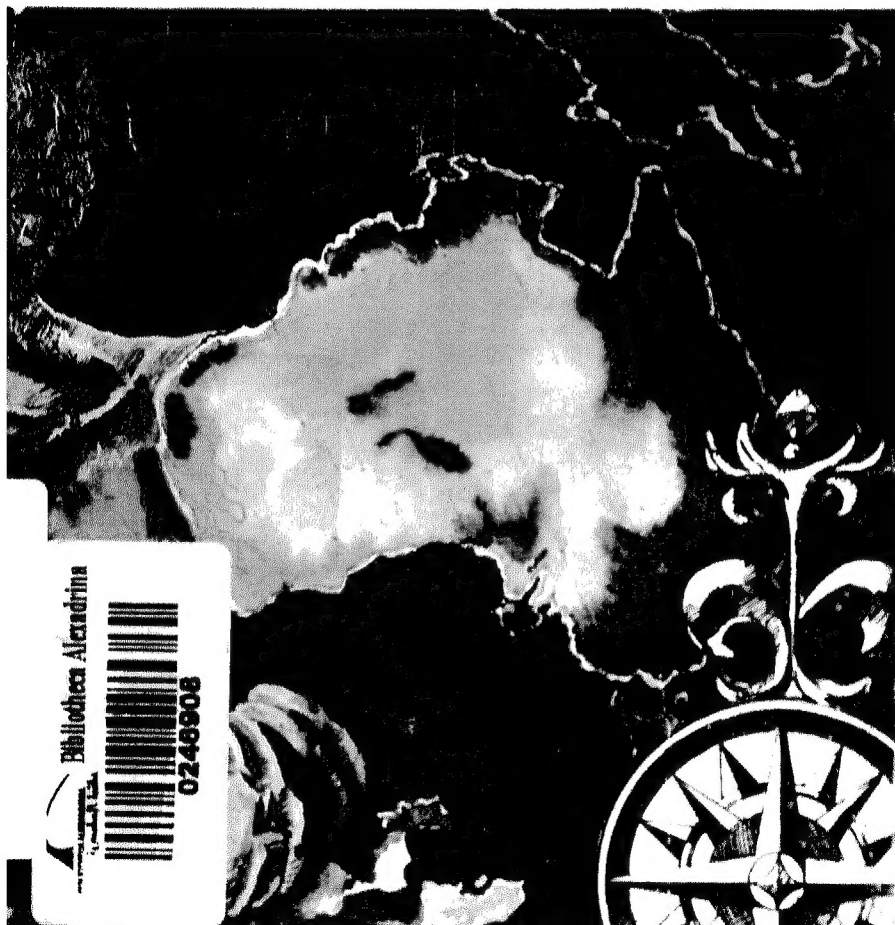
صفحة

٥	تقديم :
١١	١ - الطريق إلى قوس قزح
٢٥	٢ - سلطانية شاي
٤١	٣ - شارع دراموند
٦٥	٤ - دائرة الطباشير الأسترالية
٧٧	٥ - جريمة المحطة
٩٩	٦ - أضواء القاهرة
١١٥	٧ - ضابط يريد
١٣٧	٨ - رسام إعلانات
١٤٦	٩ - روض الفرج
١٦٤	١٠ - مأمور الضرائب
١٧٤	١١ - الدقائق الأخيرة

١٩٧٦/٤٩٨٠	رقم الإيداع
ISBN ٩٧٧-٢٤٦-٥٤١-٨	الترقيم الدولى ٨
مطابع دار المعارف-١٩٧٦	١/٧٦/٤٧٠

5.55V / 1.1

20



Biblioteca Alexandrina



0246908